

مجلـة

آداب الرافدين

علمية محكّمة فصليَّة

تصدر عن كلية الآداب

العدد: الخامس وسبعون

السنة: الثامنة والأَربعون

الموصـل

١٤٤٠هـ / ٢٠١٨م

الهيئة الاستشارية

توجه المراسلات باسم رئيس هيئة التحرير

كلية الآداب / جامعة الموصل – جمهورية العراق

E-mail: adabarafidayn@gmail.com



آداب الرافدين

مجلة محكّمة تعنى بنشر البحوث العلمية الموثّقة في الآداب والعلوم الإنسانية باللغة العربية واللغات الأجنبيَّة

العدد: خمسة وسبعون	السنة: الثامنة والأربعون

قواعد النشر في المجلة

- يقدم البحث مطبوعاً بدقة، ويكتب عنوانه واسم كاتبه مقروناً بلقبه العلمي للانتفاع باللقب في الترتيب الداخلي لعدد النشر.
- تكون الطباعة القياسية بحسب المنظومة الآتية: (العنوان: بحرف ١٦/ المتن: بحرف ١٤/ الهوامش: بحرف ١٢)، ويكون عدد السطور في الصفحة الواحدة: (٢٧) سطراً تحت سطر ترويس الصفحة بالعنوان واسم الكاتب واسم المجلة، ورقم العدد وسنة النشر، وحين يزيد عدد الصفحات في الطبعة الأخيرة داخل المجلة على (٢٥) صفحة للبحوث الخالية من المصورات والخرائط والجداول وأعمال الترجمة، وتحقيق النصوص، و (٣٠) صفحة للبحوث المتضمنة للأشياء المشار إليها، تتقاضي هيئة التحرير مبلغ (٣٠٠٠) دينار عن كل صفحة زائدة فوق العددين المذكورين، فضلاً عن الرسوم المدفوعة عند تسليم البحث للنشر والحصول على ورقة القبول؛ لتغطية نفقات الخبرات العلمية والتحكيم والطباعة والإصدار .
- ترتب الهوامش أرقاماً لكل صفحة، ويعرّف بالمصدر والمرجع في مسرد الهوامش لدى وورد ذكره أول مرة، ويلغى ثبت (المصادر والمراجع) اكتفاءً بالتعريف في موضع الذكر الأول .
- يقدم الباحث تعهداً عند تقديم البحث يتضمن الإقرار بأنَّ البحث ليس مأخوذاً (كلاً أو بعضاً) بطريقة غير أصولية وغير موثقة من الرسائل والأطاريح الجامعية والدوريات، أو من المنشور المشاع على الشبكة الدولية للمعلومات (الانترنت).
- يحال البحث إلى خبيرين يرشحانه للنشر بعد تدقيق رصانته العلمية، وتأكيد سلامته من النقل غير المشروع، ويحال – إن اختلف الخبيران – إلى (محكم) للفحص الأخير وترجيح جهة القبول أو الرد.
- لا ترد البحوث إلى أصحابها نشرت أو لم تنشر .
- يتعين على الباحث إعادة البحث مصححاً على هدي آراء الخبراء في مدة أقصاها (شهر واحد)، ويسقط حقه بأسبقية النشر بعد ذلك نتيجة للتأخير، ويكون تقديم البحث بصورته الأخيرة في نسخة ورقية وقرص مكتنز (CD) مصححاً تصحيحاً لغوياً وطباعياً متقناً، وتقع على الباحث مسؤولية ما يكون في بحثه من الأخطاء خلاف ذلك، وستخضع هيئة التحرير نسخ البحوث في كل عدد لقراءة لغوية شاملة أخرى، يقوم بها خبراء لغويون مختصون زيادة في الحيطة والحذر من الأغاليط والتصحيفات والتحريفات، مع تدقيق الملخصين المقدمين من جهة الباحث باللغة العربية أو بإحدى اللغات الأجنبية، وترجمة ما يلزم الترجمة من ذلك عند الضرورة.

((هيئة التحرير))

المحتويـات

الضحاك بن قيس الفهري ودوره السياسي والعسكري في العصرين الراشدي والأموي

م.د. عدنان شعبان عبد *

تأريخ التقديم: ٢٠١٧/١٢/١٩   تأريخ القبول: ٢٠١٨/١/٢٤

المقدمة

يدور البحث حول شخصية مهمة هو الضحاك بن قيس الفهري ودوره السياسي والعسكري في العصرين الراشدي والأموي .

تناول البحث اسم الضحاك ونسبه ونشأته ودوره في الاحداث السياسية التي حدثت ابان الفتنة بين الامام علي بن ابي طالب (ﷺ) ومعاوية بن ابي سفيان ، حيث كان له اثر واضح في هذه الاحداث لأنه كان قائداً على قلب جيش معاوية في هذه الفتنة ، وكان له حضور متميز في المفاوضات التي اعقبت المعركة التي دارت بين الطرفين ، كما تولى منصب ولاية الكوفة (٥٣–٥٧هـ) لمعاوية بن ابي سفيان ، ثم انتقل الى ولاية دمشق إذ بقي عليها حتى مقتله عام (٦٤هـ).

كما كان للضحاك دور واضح في مجلس معاوية إذ كان احد مستشاريه ورجاله البارزين، وكان مقرباً من الخليفة حيث تولى ابلاغ الناس عند وفاة الخليفة معاوية وكان له دور في تسيير الامور حتى مجيء يزيد بن معاوية الى دمشق وتسلمه زمام الحكم ، كما أدى دوراً مهماً في خلافة يزيد حيث كان مستشاراً له .

وعندما حدثت المشاكل بين اهل الحجاز ووقعت معركة الحرة كان للضحاك دور فيها ، فقد حاول منع اندلاع الفتنة لكنه اخفق في ذلك بسبب تعنت اهل المدينة ومن ثم حدوث الفتنة التي اعقبت وفاة يزيد بن معاوية والتي اودت بحياته .

وهذا ما تطرقنا اليه في البحث

* قسم التاريخ/ كلية الآداب/ جامعة الموصل .

- اسمه ونسبه :

هو الضحاك بن قيس بن خالد الأكبر بن وهب بن ثعلبه بن وائلة بن عمرو بن شيبان بن محارب بن فهر بن مالك [١] ، بن النضر بن كنانة بن خُزيمة بن مُدركه بن الياس بن مضر [٢] .

فمن خلال هذا النسب يتبين لنا ان الضحاك ينتمي الى بني فهر إحدى العشائر القرشية التي تكونت منها قبيلة قريش ، وقد سكنت هذه العشيرة (بني فهر) خارج مكة والتي كان يطلق عليها اسم قريش الظواهر الذين كانوا ينزلون ظواهر ، على عكس قريش البطاح الذين سكنوا داخل مكة بالقرب من الحرم [٣] .

قال البلاذري : قريش الظواهر كانوا يغيرون على جيرانهم بمكة ويغزون غيرهم ويعيرون قريش البطاح بترك الغزو ، فمن قريش الظواهر الذين ينزلون ظواهر مكة بنو عامر بن لؤي ... ومحارب والحارث ابنا فهر بن مالك ، إلا بني حَسَل بن عامر دخلوا فيما بعد الى مكة فصاروا في قريش البطاح ، ومن ثم دخلوا في حلف الطيبين [٤] .

---

(١) ابن حزم ، علي بن أحمد بن سعيد : جمهرة أنساب العرب ، تحقيق علي بن أحمد بن سعيد الطاهرين ، ص ١٧٨ ؛ ابن عساكر ، علي بن الحسن : تاريخ دمشق الكبير ، تحقيق أبي عبدالله عاشور الجنوبي ، (بيروت – ٢٠٠١ م) ، مج ١٣ ، ج ٢٦ / ١٩٤ .

(٢) الزبيري ، مصعب بن عبدالله : نسب قريش ، تحقيق بروفنسال ، (القاهرة – د . ت) ، ط ٣ ، ج ١ / ١٤٤ .

(٣) اليعقوبي، أحمد بن اسحاق بن جعفر بن وهب بن واضح : تاريخ اليعقوبي ، (د.م – د.ت) ، ج ١ / ٩١ .

(٤) أحمد بن يحيى بن جابر : أنساب الأشراف ، تحقيق سهيل زكار واخرون ، ط ٢ ، (مصر – ١٩٩٦ م) ، ج ١١ / ٥٣ ، والطيبين : هم بنو عبد مناف ، وأسد بن عبد العزى ، وبنو زهرة ، وبنو تميم بن مرة وانضمَ إليهم من قريش الظواهر بني حَسَل بن عامر دخلوا مكة وانضموا إليهم وسموا بهذا الاسم لأن هذه العشائر القريشية تعاهدت على نصرة المظلوم على الظالم داخل حرم مكة والنصرة له وبعد اتفاقهم غمسوا ايديهم بإناء مملوء بالطيب وهو نوع من العطور توكيداً على اتفاقهم وعدم الحنث بهذا الاتفاق ، للمزيد ينظر، اليعقوبي : تاريخ اليعقوبي ، ج١ / ٩٧ ؛ ابن هشام ، عبد الملك : سيرة ابن هشام ، تحقيق مصطفى السقا، (القاهرة – ١٩٥٥م)، ج ١ / ١٣٠ .

- كنيته :

تكنى الضحاك بن قيس بكنى عدة منها :

١. ابو أمية .
٢. وقيل أبو عبد الرحمن .
٣. وقيل ابو سعيد [١] .
٤. وقيل ابو انيس وهذه الكنية الأشهر من بين كناه الآنفة الذكر حيث ان الضحاك بن قيس دائماً يفخر بذلك حيث يقول : ((انا ابو انيس قاتل عمرو بن عُميس)) [٢] .

- اسرته :

- أمه :

هي : أميمة بنت ربيعة بن حذيم بن عامر بن مَبذول بن الأحمر بن الحارث بن عبد مناة بن كنانه [٣] .

أختـه : فاطمــة بنـت قيس وكانـت أكبــر منـه بعشـر سنــوات [٤] ، وهـي التـي خطبهــا معاوية بن أبي سفيان ، وابو جهم حذيفة بن غانم ، بعد أن طلقها أبو عمر بن حفص بن المغيرة فاستشارت رسول الله (ﷺ) فأشــار عليهـا أن تتــزوج بأسامــة بن زيد فرضيت بـه

(١) الذهبي ، شمس الدين محمد بن أحمد : سير اعلام النبلاء ، تحقيق شعيب الأرنؤوط واخرون ، ج ٣ / ٢٤١ ؛ الهيثمي ، نور الدين علي بن ابي بكر : مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ، تحقيق حسام الدين القدسي ، (القاهرة – ١٩٩٤) ، ج ١٠ / ٤ .

(٢) البلاذري : انساب الاشراف ، ج٢ / ٤٣٨ ؛ الطبري ، محمد بن جرير : تاريخ الرسل والملوك ، تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم ، (القاهرة – د . ت) ، ج ٥ / ١٣٥ ، وعمرو بن عُميس : هو عمرو بن عُميس بن مسعود كان من مؤيدي علي بن ابي طالب (ﷺ) في الفتنة التي وقعت بين علي ومعاوية قتله الضحاك بن قيس عندما أغار الضحاك بأمر من معاوية على أطراف العراق فلقيه في الطريق هو وأهله يريد الحج فقتله ، للمزيد ينظر ، ابن حزم : جمهرة أنساب العرب ، ج ١ / ١٧٨ .

(٣) بن سعد ، محمد : كتاب الطبقات الكبير ، تحقيق علي محمد عمر ، (القاهرة – ٢٠٠٢ م) ، ج ٦ / ٥٤٣ ؛ ابن عساكر : تاريخ دمشق الكبير ، ج ٢٦ / ١٩٧ .

(٤) ابن قتيبة، ابي محمد عبدالله: المعارف ، تحقيق ثروت عكاشه ، ط ٢ ، (مصر – ١٩٦٩ م) ، ص ٤١٢ ؛ الصفدي، صلاح الدين خليل: الوافي بالوفيات ، تحقيق ابو عبدالله جلال ، (بيروت – ١٩٧١م)، ج١٣/١٤٦ .

وكـانت أكبر منه [١] ، وفي بيتها اجتمـع أهـل الشـورى وخطبوا خطبهم المأثـورة وكانت امـرأة نجـود [٢] ، (النجود : النبيلة) .

ولـم أجد فـي المصـادر الأوليـة ذكراً لإخوتـه سوى اخٍ لـه يـدعى كلثوم ، وكـان لكلثوم ابـن يسمى سويد [٣] .

- أولاده وزوجاته :

كان للضحاك عدة اولاد من امهات شتى وهم :

١. عَمّرا وامه من بني عوف بن حرب عبيد بن خزيمة بن لؤي .
٢. وعبد الرحمن وهو الذي على المدينة المنورة في خلافة يزيد بن عبد الملك .
٣. ومحمداً وأمهما ماوية بنت يزيد بن جبلة بن لام بن حصين بن كعب بن عُليم من كلب
٤. وحبيباً وامه ام عبدالله بنت عروة بن معاوية بن ربيعة بن الأبرص بن ربيعة بن عامر كان على شرطة معاوية ثم ولاه الكوفة [٤] .

أما بناته فلم تذكر المصـادر التاريخيـة شيئاً عنهن ولا نعلم ان كـان لـه بنـات ام لـم يـرزق بواحدة منهن .

- ولادته ونشأته :

ولد الضحاك بن قيس في مكـة حسب مـا نعتقد إذ لـم تتطـرق المصـادر التاريخيـة لذكر ذلك ، وقد اختلفت المصادر التاريخيـة في تحديد سنة ولادتـه ، فمنها من يذكر انـه ولد قبل وفاة النبي محمد (ﷺ) بسبع سنين حسب ما أورده بن عبد البر الذي يقول : ((ولد الضحاك قبل وفاة النبي (ﷺ) بسبع سنين ونحوها وينفون سماعه من النبـي (ﷺ))) [٥] .

---

(١) ابن سعد : الطبقات الكبرى ، ج ٨ / ٣٨٦ ، ويقال ان اجتماع اهل الشورى كان في بيت ابن اخت عبد الرحمن بن عوف أي في بيت المسور بن محزمة ، ينظر الطبري : تاريخ الرسل والملوك ، ج ٤ / ٢٣٢ – ٢٣٨ .

(٢) ابن عساكر : تاريخ دمشق الكبير ، ج ٢٦ / ١٩٧ .

(٣) للمزيد ينظر ، ابن حزم : جمهرة انساب العرب ، ج ١ / ١٧٨ .

(٤) ابن سعد : الطبقات الكبرى ، ج ٦ / ٥٤٣ .

(٥) ابن عبد البر ، ابو عمر يوسف بن عبدالله بن محمد النمري : الاستيعاب في معرفة الأصحاب ، تحقيق علي محمد البجاوي ، (بيروت – ١٩٩٢ م) ، ج ٢ / ٧٤٥ .

ويتفق معه في ذلك كل من ابن الاثير وابن كيكلدي الدمشقي إذ يقول ابن الاثير : ((انه ولد قبل وفاة النبي بسبع سنين أو نحوها)) [١] ، في حين يذكر المزي : ((ان مولده كان قبل وفاة رسول الله (ﷺ) بنحو ست سنين)) [٢] .

أما ابن حجر فيقول ((انه كان ابن ثمان سنين)) [٣] ، وقال الطبري : ((مات النبي وهو غلام يافع)) ، وفي رواية يذكرها الطبري نقلاً عن الواقدي : ((زعم غيره انه سمع من (ﷺ))) [٤] .

في حين انفرد ابن عساكر برواية مغايرة عن كل الروايات الآنفة الذكر إذ يقول انه ((ولد قبل وفاة النبي بسنة او نحوها)) [٥] .

واننا بدورنا نرجح الروايات التي تقول ان عمره كان سبع أو ثمان سنيين حين توفي النبي (ﷺ) ، ومما يؤيد ما ذهبنا اليه أن الضحاك بن قيس كان قد روى أحاديث عدة سمعها عن النبي (ﷺ) مباشرة وهو ما سيتم ذكره لاحقاً ، إذ لا يعقل ان يروي أحاديث عن النبي (ﷺ) وهو ابن سنة واحدة أو لا صُحبه له كما تزعم بعض المصادر [٦] .

- صفاته :

كان الضحاك بن قيس خطيباً مفوهاً ونستدل على ذلك من خلال الخطب الجميلة المنمقة التي كان يلقيها من على المنابر فهو يستطيع ان يصل الى قلوب

(١) عز الدين ، ابي الحسن علي بن محمد : أسد الغابة في معرفة الصحابة ، تحقيق محمد معوض ، (بيروت – ١٩٩٤ م) ، ج ٣ / ٤٩ ؛ الدمشقي ، صلاح الدين أبو سعيد خليل ين كيكلدي : جامع التحصيل في أحكام المراسيل ، تحقيق حمدي عبد المجيد السلفي ، (بيروت – ١٩٨٦ م) ، ج ١ / ١٩٩ .

(٢) ابو الحجاج ، يوسف بن عبد الرحمن بن يوسف : تهذيب الكمال في اسماء الرجال ، تحقيق بشار عواد معروف، (مؤسسة الرسالة – ١٩٨٠ م) ، ج ١٣ / ٢٨٠ .

(٣) ابو الفضل ، احمد بن علي بن محمد العسقلاني : الاصابة في تمييز الصحابة ، تحقيق عادل أحمد عبد الموجود، (بيروت – ١٤١٥ هـ) ، ج ٣ / ٣٨٨ .

(٤) الطبري : تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ / ١٣٦ .

(٥) تاريخ دمشق الكبير ، ج ٢٦ / ١٩٨ .

(٦) ابن عبد البر : الاستيعاب ، ج ٢ / ٧٤٥ ؛ الذهبي : تاريخ الاسلام ، تحقيق عمر عبد السلام تدمري ، (بيروت– ١٩٨٧م) ، ج ٥ / ١٣٢ ؛ ابن حجر : الإصابة في تمييز الصحابة ، ج ٣ / ٣٨٨ ؛ ابن كثير ، ابو الفداء اسماعيل بن عمر : البداية والنهاية ، تحقيق علي شيرى ، (بيروت – ١٩٨٨ م) ، ج ٨ / ٢٤٣ .

مستمعيه من خلال الكلمات التي يلقيها على مسامع سامعيه وقد وردت له العديد من الخطب سيأتي ذكرها لاحقاً .

كما عرف بشجاعته ومعرفته بالحرب منذ نعومة أظفاره ، فقد إشترك في حروب الشام عندما فتحت على يد الفاتحين الأوائل وهو أحد الذين أسهموا في فتحها ، كمشاركته في فتح دمشق والسكن فيها حتى اخر عمره ، وكانت داره حسبما يذكر ابن عساكر ((في حجر الذهب مما يلي حائط المدينة مشرفة على بردى)) [(١)] .

وعند حدوث الفتنة بين علي (ﷺ) ومعاوية (ﷺ) شهد وقعة صفين الى جانب معاوية وكان على أهل دمشق وهم القلب [(٢)] ، وهذا دليل على شجاعة الضحاك وإقدامه ، فمن المعروف انه لا يوضع في قيادة الجيش إلا من عُرف عنه الشجاعة والإقدام ، ولم نقف على الدوافع التي كانت وراء وقوف الضحاك الى جانب معاوية .

أما عن كرمه فقد كان الضحاك بن قيس جواداً كريماً ولعل خير دليل نسوقه على صحة قولنا ذكره هذه الرواية التي ذكرها ابن عساكر بالقول : ((ان الضحاك بن قيس قدم المدينة فأتى المسجد فصلى بين القبر والمنبر ، فرآه ابو الحسن البَراد [(*)] وعليه بُرد مرقع قد ارتدى به من كسوة معاوية ، فجلس اليه ابو الحسن وهو لا يعرفه ، فلما صلى قال : يا اعرابي هل تبيع بردك؟ قال : نعم وبكم تأخذه ؟ قال بمائة دينار ، قال : زدني ، فلم يزل يزيده حتى بلغ ثلاثمائة دينار ، قال : انطلق حتى ادفعه إليك ، فانطلق حتى اتى بيت حويطب بن عبد العزى ، فقال : يا جارية هلمي ببعض اردية أخي فخرجت اليه برداء فارتدى به ثم قال لابي حسن : اني اراك قد اغريت بردائي واعجبك وقبيح بالرجل ان يبيع عطافه ، فألبسه فأخذه ابو حسن فباعه فكان اول مال أصابه وكان يساره)) [(٣)] .

---

(١) تاريخ دمشق الكبير ، ج ٢٦ / ١٩٥ .

(٢) المنقري ، نصر بن مزاحم : وقعة صفين ، تحقيق عبد السلام هارون ، (د . م – د . ت) ، ص ٢٠٦ .

(*) ابو الحسن البراد : هو مولى تميم الداري نسبه ابو اسحاق الى المدينة كان من رواة الحديث ، للمزيد ينظر ، ابو احمد الحاكم : الأسامي والكُنى ، تحقيق يوسف الدخيل ، (المدينة – ١٩٩٤ م) ، ج ٣ / ٣٨١ .

(٣) تاريخ دمشق الكبير ، ج ٢٦ / ٢٠١ ؛ وعند الذهبي : كان جواداً لبس برداً تساوي ثلاثمائة دينار ، فساومه رجل به فوهبه له وقال : شح بالمرء ان يبيع عطافه ، سير اعلام النبلاء ، ج ٣ / ٢٤٢ .

أما عن علمه وتقواه ، فقد وصفته المصادر التاريخية بأنه كان فقيهاً وراوياً حيث سُئِلَ الشعبي عن رجل صلى فقام في الأولى والثانية ، فقال : فعل ذلك الضحاك بن قيس وكان من الفقهاء [١] .

فهذا الشعبي [*] فقيه العراق يقر بأن الضحاك بن قيس كان من الفقهاء وأخذ عنه فلو لم يكن الضحاك ثقة متأكدين من علمه وفقهه لما اخذ عنه خيرة فقهاء العراق واشهرهم واعني به الشعبي .

وفي رواية اخرى يذكر ابن عساكر بعد سلسلة من الإسناد الى ان يصل الى مُعمر إذ يقول : ان الضحاك بن قيس امر غلاماً قبل ان يحتلم فصلى بالناس فقيل له ، لم فعلت ذلك ؟ قال الضحاك : ان معه من القرآن ما ليس معي فإنما قدمت القرآن ، وقال معمر : وبلغني ان غلاماً في عهد النبي (ﷺ) كان يصلي بالناس ولم يحتلم ، وكان اكثرهم قرآنا [٢] .

اما عن روايته الحديث فقد روى عدة احاديث سنذكرها لاحقاً وكان معاوية بن ابي سفيان كثير الاستشهاد به وكان يقول عنه : بلغني عن الضحاك وهو عدل على نفسه ان رسول الله (ﷺ) قال : ((لا يزال والٍ من قريش على الناس)) [٣] ، كما روى عنه الكثير من الفقهاء امثال الشعبي وتميم بن طرفة ومحمد بن سويد النهري وميمون بن مهران وسماك بن حرب وسعيد بن جبير وغيرهم كثير [٤] ، كما روى عن حبيب بن مسلمة وعن عمر بن الخطاب (ﷺ) [٥] .

(١) ابن عساكر : تاريخ دمشق الكبير ، ج ٢٦ / ٢٠٠ .

(*) الشعبي : هو عامر بن شراحيل بن عبد ذي كبار الحميري ابو عمر راوية من التابعين يضرب به المثل لحفظه ، ولد ونشأ ومات في الكوفة (١٩ – ١٠٣ هـ) ، اتصل بعبد الملك بن مروان فكان نديمه ، وسيره رسولاً وسفيراً الى ملك الروم ، كان ضئيلاً ونحيفاً ، ولد لسبعة اشهر وسئل عما بلغه من الحفظ فقال : ما كتب سوداء في بيضاء ولا حدثني احد بحديث الا حفظته وهو من رجال الحديث ، للمزيد ينظر ، الاصفهاني ، ابو نعيم احمد بن عبدالله : حلية الاولياء وطبقات الأصفياء ، ط ٤ ، (بيروت – ١٤٠٥ هـ) ، ج ٤ / ٣١٠

(٢) ابن عساكر : تاريخ دمشق الكبير ، ج ٢٦ / ٢٠٠ .

(٣) الذهبي : سير أعلام النبلاء ، ج ٣ / ٢٤٢ .

(٤) الرازي ، عبد الرحمن بن ابي حاتم محمد بن ادريس : الجرح والتعديل ، (بيروت – ١٩٥٢ م) ، ج ٧ ؛ الذهبي: سير اعلام النبلاء ، ج ٣ / ٢٤١ .

(٥) ابن عساكر : تاريخ دمشق الكبير ، ج ٢٦ / ١٩٥ .

أما عن صفاته الخُلقية ، فاني لم اجد شيئاً في المصادر التاريخية ، ولا كتب التراجم أي وصفٍ عنه حيث سكتت المصادر سكوتاً تاماً عن وصفه ، ويبدو ان هذا يرجع حسب رأينا إلى انه كان من الصحابة الصغار ولم يكن لعائلته تلك المكانة المرموقة التي لها ثقلها ومركزها في قريس مثل بني امية وهاشم ومخزوم وغيرها من العشائر القريشية التي لمع ذكرها في كتب التاريخ في عصري ما قبل الاسلام والنبوة ، سوى ان في عصر صدر الاسلام ظهر عمه ابو عبيدة عامر بن الجراح (أمين الأمة) كمقاتل لنصرة الاسلام في غزوات وسرايا الرسول محمد (ﷺ) وقائداً للجيوش الاسلامية في معارك فتوح الشام (١) .

اما عشيرته فقد ظهر في الاسلام بعض الشخصيات التي لمع اسمها في التاريخ امثال عقبة بن نافع الفهري (*) فاتح شمال افريقية وباني القيروان (٢) ، وحبيب بن مسلمة الفهري (**) الذي غزا أرمينية بأمر من عثمان بن عفان (رضي الله عنه) سنة (٢٤ هـ) هو وزوجته ، وكان صاحب كيد ودهاء في المعارك وقد استشهد هناك (٣) ، غير هؤلاء لم تظهر أي شخصية لمع اسمها او برز في التاريخ الاسلامي آنذاك .

---

(١) ابن عساكر : تاريخ دمشق الكبير، ج ٢٦ / ١٩٩ .

(*) عُقبة بن نافع الفهري : هو عُقبة بن نافع بن عبد قيس بن لقيط بن عامر بن امية بن طرف بن الحارث بن فهر بن مالك القرشي ، ولد قبل وفاة النبي (ﷺ) بسنة واحدة ووصَل الى إفريقية (تونس الحالية) بعشرة الاف من المسلمين ففتحها وَدخلها ووضع السيف في أهلها لانهم كانوا يعلنون اسلامهم وما ان يرجع عنهم واليهم حتى يرتدون عن الاسلام ، وفي عام (٥١ هـ) شرع في بناء مدينة القيروان حيث اتخذها قاعدة لجنده ، للمزيد ينظر ، ابن عذاري، ابو عبدالله محمد بن محمد المراكشي : البيان المغرب في اخبار الأندلس والمغرب ، ج ١ ، تحقيق ج . ش ، كولان وليفي برفنسال ، ط٣ ، ج ١ / ١٩ – ٢٠

(٢) المصدر نفسه ، ج ١ / ٢٠ وما بعدها .

(**) حبيب بن مسلمة بن مالك الأكبر بن وَهب بن ثعلبة بن وائلة بن عمر بن شيبان بن محارب بن فهر ، قبض رسول الله (ﷺ) ولحبيب بن مسلمة (١٢) سنة وانه لم يغزو معه شيئاً ، شارك في حرب صفين الى جانب معاوية كما شارك بغزية الروم فكان له منهم نكاية واثر ثم وجهه واليا عليها سنة (٤٢ هـ) ومات ولم يبلغ (٥٠) سنة من عمره، للمزيد ينظر ، ابن سعد : الطبقات الكبرى ، ج ٧ / ٢٨٧ .

(٣) الطبري : تاريخ الرسل والملوك ، ج ٤ / ٢٤٩ .

اما عن نشأته فلم اجد شيئاً يذكر عنه سوى انه شارك الى جانب عمه ابي عبيدة عامر ابن الجراح في فتوح الشام وكان احد الذين شاركوا في فتح دمشق [١] .

فكما رجحنا في بداية بحثنا ان الضحاك كان بعمر سبع او ثمان سنوات عندما توفي الرسول (ﷺ) وان فتوح الشام ابتدأت في عهد الصديق (رضي الله عنه) نهاية عام (١٢ هـ) وبداية عام (١٣ هـ) ، وهذا يعني ان الضحاك كان عمره عندما ذهب بصحبة عمه ابو عبيدة والجيوش الاسلامية لفتح الشام لا يتجاوز عشر او احدى عشرة سنة وهذا السن هو سن الطفولة حيث لا يقوى على حمل السلاح ومجابهة الأعداء ، الا انه استفاد من هذه المشاركة باطلاعه على الحروب ومعرفة ويلاتها منذ نعومة اظفاره ، فلا عجب اذا ما أصبح الضحاك فيما بعد من الأبطال الذين يشار إليهم في قيادة الجيوش والاعتماد عليهم في الظروف الصعبة التي تتطلب الجلد والصبر وقوة الشكيمة .

- بدايات ظهور الضحاك على مسرح الأحداث :

بما ان الضحاك سكن دمشق بعد فتحها حسب ما تذكر لنا المصادر التاريخية [٢] ، وان معاوية بن ابي سفيان تولى ولاية الشام بعد فتحها من قبل الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) ، وهذا احد الاسباب التي وطدت العلاقة بين الضحاك بن قيس الفهري ومعاوية ، وعندما حدثت الفتنة بين علي ومعاوية (رضي الله عنه) نلاحظ ان الضحاك وقف الى جانب معاوية مؤيداً له قلباً وقالباً ، وكان اول ظهور له عندما تصدى لجيش الأشتر النخعي الذي ارسله الخليفة علي بن ابي طالب (رضي الله عنه) نحو الموصل ، وهذا ما أشار اليه الدينوري بالقول : ان علياً (رضي الله عنه) قد عين الأشتر النخعي على الموصل ونصيبين ودارا وآمد وسنجار وميافارقين وهيت وعانات وما غلب عليها من ارض الشام ، فسار اليها ولقيه الضحاك بن قيس الفهري الذي كان عليها من قبل معاوية بن ابي سفيان واقتتلوا بين حران والرقة بموضع يقال له المرج الى وقت المساء وبلغ ذلك معاوية فأمده بعبد

---

(١) ابن عساكر : تاريخ دمشق الكبير ، ج ٢٦ / ١٩٥ .

(٢) ابن عساكر : تاريخ دمشق الكبير ، ج ٢٦ / ١٩٥ ؛ الذهبي : سير اعلام النبلاء ، ج٣ / ٢٤١ .

الرحمن بن خالد بن الوليد بقوات عظيمة فبلغ ذلك الأشتر فانصرف الى الموصل واقام بها يقاتل من اتاه من اجناد معاوية ، ثم كانت وقعة صفين [١] .

وكان ذلك عام (٣٦ هـ) في بداية الخلاف بين علي ومعاوية ، ويذكر الدينوري ان الضحاك كان والياً على الموصل في هذه السنة من قبل معاوية بن ابي سفيان [٢] .

موقف الضحاك بن قيس من الخلاف الذي وقع بين علي ومعاوية (ﷺ) :

برز موقف الضحاك بن قيس المؤيد والداعم لمعاوية بن ابي سفيان في الأحداث التي وقعت بين عامي (٣٦ – ٤٠ هـ) ، حيث نلاحظ ان الضحاك كان له مواقف بارزة وظاهرة تمثلت باعتماد معاوية عليه كقائد عسكري من القادة الذين ساهموا في القتال الى جانب معاوية ، فالمقري يذكر ان الضحاك كان قائداً على خيل دمشق بالقول : ((وجعل على الميسرة عبدالله بن عمرو بن العاص وعلى الرجالة من الميسرة حابس بن سعيد الطائي ، وعلى خيل دمشق الضحاك بن قيس الفهري ... فجاء اهل دمشق على راياتهم وهم القلب وعليهم الضحاك بن قيس الفهري فأطافوا بمعاوية وسار ابو الأعور وسار عمرو بن العاص ومن معهما حتى وقفوا قريباً من اهل العراق)) [٣] .

في حين يذكر الطبري ان ((الضحاك بن قيس الفهري على رجالة الناس كلها)) [٤] وقد كان الضحاك في معركة صفين من الرجال الذين لهم وزنهم وثقلهم فهذا علي بن ابي طالب (ﷺ) يذكره مع الرجال الذين وقفوا بوجه جيش علي وممن كان لهم نكاية واثر حيث يقول لأهل العراق يوبخهم ويحرضهم على قتال اهل الشام ((وعمرو بن

---

(١) الدينوري ، ابو حنيفة : الأخبار الطوال ، تحقيق عبد المنعم عامر وجمال الدين الشيال ، (القاهرة–١٩٦٠م) ، ج١/١٥٤ .

(٢) المصدر نفسه ، ج ١ / ١٥٤ ؛ زامباور ، تاريخ الاسر والسلالات الحاكمة في التاريخ الاسلامي : أخرجه زكي محمد حسن بك واخرون ، ترجمة سيد اسماعيل كاشف واخرون ، (بيروت – ١٩٨٠ م) ، ص ٥٥ .

(٣) بن مزاحم : وقعة صفين ، ص ٢٢٦ .

(٤) تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ / ١٢ .

العاص ... والضحاك بن قيس ليسوا بأصحاب دين ولا قرآن [١] يغزونكم ويتعرضون لأصحابكم وأنتم تقدمون رجل وتؤخرونها ، وانتم على الحق وهم على الباطل ومعكم خليفة رسول الله وابن عمه لكن لا امر لمن لا يطاع وددت ان لي بجماعتكم الف فارس)) [٢]

وبقي الضحاك يقاتل مع معاوية ويسانده حتى وضعت الحرب أوزارها وذهب الطرفين الى الصلح .

كان الضحاك بن قيس ممن شهد الصلح الذي حضره كل من عمرو بن العاص ممثلاً عن معاوية ، وأبو موسى الأشعري ممثلاً عن علي بن ابي طالب (ﷺ) ، ومما ذكره الطبري عن ذلك ((ورجع ابن عباس وشريح بن هاني الى علي وكان اذا صلى الغداة يقنت فيقول : اللهم العن معاوية وعمرا وأبا الأعور السلمي وحبيباً وعبد الرحمن بن خالد والضحاك بن قيس والوليد)) [٣] .

وعندما رجع الوفد المفاوض من أذرح وانتهت المفاوضات بخلع علي (ﷺ) وتنصيب معاوية بن ابي سفيان خليفة للمسلمين قوي وضعه في بلاد الشام بعد ان أضفت المفاوضات الصبغة الشرعية له وخلع علي عن منصب الخلافة ، اخذ معاوية يتطلع الى الاستحواذ على اكبر عدد من الولايات واستقطاعها من سلطة علي (ﷺ) باعتباره اصبح هو الخليفة الشرعي ففكر في السيطرة على مصر وضمها الى بلاد الشام وجعلها ضمن نفوذه وسلطته فاستشار اصحابه والمقربين له من القادة وكبار رجال دولته فكان الضحاك بن قيس من ضمن الذين استشارهم وعرض على احدهم فتح مصر وجعله والياً عليها من قبله ان هو قام بفتحها وطرد والي علي (ﷺ) عليها واعني به محمد بن ابي بكر الصديق (ﷺ) .

إذ يذكر البلاذري هذا الخبر بالقول : ((ولما انصرف الحكمان وتفرقا وبويع معاوية بالخلافة قوي امره واستعلى شأنه واختلف اهل العراق على علي فلم تكن لمعاوية همه إلا مصر وقد كان لأهلها هائباً لقربهم منه وشدتهم على من كان يرى رأيه فدعا

---

(١) المصدر نفسه ، ج ٥ / ٤٩ .

(٢) ابن حَبان ، محمد بن حَبان بن احمد ابو حاتم التميمي : الثقات ، تحقيق شرف الدين احمد ، دار الفكر ، (د . م – ١٩٧٥ م) ، ج ٢ / ٢٩٩ .

(٣) تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ / ٧١ .

معاوية ... عمرو بن العاص وحبيب بن مسلمة والضحاك بن قيس وبسر بن ابي أرطأة وعبد الرحمن بن خالد ... وحرب بن ابي بكر فعرض ولايتها عليهم فكرهوا ذلك الا عمرو بن العاص ...)) (١) .

وعند الطبري ((فدعا معاوية من كان معه من قريش : عمرو بن العاص وحبيب بن مسلمة وبسر بن ابي ارطأة والضحاك بن قيس ... فقال لهم أتدرون لم دعوتكم ؟ ، اني دعوتكم لأمر فغزا العراق ورجع غانماً)) ، وعن ذلك يقول ابن عساكر: ((أرسله معاوية فعبر جسر منبج فصار الى الرقــة ثم مضى منها فأغار منها على سـواد العـراق ، وأقام بهيت وعانات...)) (٢) .

وللبلاذري رواية اخرى مفادها : ووجه معاوية الضحاك بن قيس الفهري ويكنى ابا انيس حين بلغه ان علياً يدعو الناس الى الخروج اليه وان اصحابه مختلفون عليه في خيل كثيفة جريرة، وامره ان يمر بأسفل واقوصة (*) فيغير على الأعراب ممن كان على طاعة علي وعلى غيرهم ممن كان في طاعته ممن لقبهُ مُجتاذاً وان يُصبح في بلد ويسمى في اخر ، ولا يقيم لخيل ان سرحت اليه ، وان عرضت له قاتلها وكانت تلك اول غارات معاوية ، فاقبل الضحاك الى القطقطـانه (*) فيمـا بين ثلاثــة الاف الى اربعــة الاف ، وجعل يأخذ أموال الناس من الأعراب

وغيرهم ويقتل من ظن انه على طاعة علي او كان يهوى هواه حتى بلغ الثعلبية (**) واغار على الحاج فاخذ امتعتهم ثم صار الى القطقطانه منصرفاً ، ، ولقيه بالقطقطانه

---

(١) انساب الأشراف ، ج ٢ / ٤٠٠ .

(٢) تاريخ دمشق الكبير ، ج ٢٦ / ١٩٨ .

(*) واقوصه : وادي بالشام في ارض حوران نزله المسلمون ايام ابي بكر الصديق (ﷺ) عند قيام معركة اليرموك وحقق المسلمون نصراً مؤزراً على الروم في هذه المنطقة ، للمزيد ينظر : الحموي ، شهاب الدين ابي عبدالله ياقوت ، معجم البلدان ، (بيروت – ١٩٩١ م) ، مج ٥ / ٣٥٤ .

(*) القطقطانه : هي منطقة بالطف بينها وبين الرهيمة مغرباً نيف وعشرين ميلاً اذا خرجت من القادسية تريد الشام ، ومعه الى قصر مقاتل ... ثم الى السحارب ، للمزيد ينظر ، الحموي : معجم البلدان ، مج ٤ / ٣٧٤ .

(**) الثعلبية : هي منازل طريق مكة من الكوفة ، وسميت بالثعلبية نسبة الى ثعلبة بن عمرو بن ميزيقياء بن عامر بن ماء السماء حيث اقام بهذا الموضع بعد تفرق الأزد عن اليمن ... ، للمزيد ينظر ، الحموي ، معجم البلدان ، مج ٢ / ٧٨ .

على طريق الحاج عمرو بن عميس بن مسعود ابن اخي عبدالله بن مسعود فقتله ... واخذ طريق السماوة منصرفاً ، فلما بلغ علياً خبره قام في اهل الكوفة خطيباً فدعاهم الى الخروج لقتال عدوهم ومنع حريمهم فردوا عليه ((أضعيفاً ورأى منهم فشلاً وعجزاً ، فقال : وددت والله ان لي بكل عشرة منكم رجلاً من اهل الشام واني صرفتكم كما يصرف الذهب ولوددتُ اني لقيتهم على بعيرتي فأدامني الله من مقاساتكم ومدارتكم كما يداري البكار العورة والثياب المتهرئة لكما ضيقت من جانب تهتكت من جانب))(١).

وعند ابن حبان ان معاوية ارسل الضحاك بن قيس بصحبته قائداً اخر ولم يذكر لنا من هو القائد الفعلي إذ يقول : ثم وجه معاوية خيلاً منهم الضحاك بن قيس الفهري وسفيان بن عوف الدابري فأغار سفيان على الانبار وفيها مساس لعلي فلما بلغ علياً خروجهم خرج من بيته والناس في المسجد فلما رآه مناصرا قال : ((اسكتوا اسكتوا ، قال شاهت الوجوه ... ان عدوكم يجد من الهناء ما تجدون ولكن لا امر لمن لا يطاع وددت ان لي بجماعتكم الف فارس...))(٢).

وبعد ان دخل الضحاك بن قيس وهو ومن معه من الجند ارض العراق فقتل من قتل وغنم ما غنم ما وقع تحت يديه من غنائم انسحب الضحاك ابن قيس راجعاً الى ارض الشام ، فقام علي (ﷺ) بتجهيز قوة من الجند بلغت (٤٠٠٠) مقاتل وجعل على رأسهم حجر بن عدي الكندي (*) ، فسار حجر حتى لحق الضحاك بن قيس نحو تدمر فقاتله فأصاب من اصحابه تسع عشر رجلاً وقتل من اصحاب علي رجلان وحجز الليل بينهم فانسحب الضحاك بن قيس تحت جنح الظلام راجعاً الى معاوية (٣).

ويبدو ان هدف هذه الحملة التي قام بها الضحاك بن قيس بتوجيه من معاوية هو استشعار علي بن ابي طالب (ﷺ) هو وأهل العراق بقوة اهل الشام اولاً والاستطلاع

---

(١) انساب الاشراف ، ج ٢ / ٤٣٨ .

(٢) الثقات ' ج ٢ / ٢٩٩ .

(*) حجر بن عدي الأدبر بن ربيعة بن معاوية بن ثور بن مرتع بن ثور وهو من كنده ، يرجع نسبه الى سبأ بن يشجب بن قحطان ، شهد صفين مع علي بن ابي طالب (ﷺ) وكان من أشد المتشيعين لعلي ومؤيديه في الكوفة، وهو الذي كذب زياد بن ابيه فطلبه زياد وألقى القبض عليه وبعد ان ظل يطلبه فأرسله الى معاوية فقتله مع مجموعة من اتباعه بتحريض من قبل زياد بن ابيه ، للمزيد ينظر ، ابن عساكر : تاريخ دمشق الكبير ، ج١٣/١٤٤– ١٦٢

(٣) الطبري : تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ / ١٣٥ .

على اوضاع اهل العراق المضطربة اصلاً قبل التحكيم وبعد التحكيم ويبدو ان الحملة استوفت اهدافها المرسومة لها وهذ يفسر لنا انسحاب الضحاك وجيشه من امام قوات حجر بن عدي تحت جنح الظلام ولم يصطدم معه في معركة فاصلة .

وبعد ان رجع الضحاك بن قيس الى معاوية ، قام معاوية بإرساله إلى مكان اخر حيث ارسله على ما كان من سلطانه من الجزيرة والرقة وحوران والرها وقرقيسيا ، فبلغ ذلك الأشتر ، فسار من نصيبين يريد الضحاك بن قيس واستمد الضحاك اهل الرقة ، وكان جَلَ من بها عثمانية هربوا من علي فأمدوه فعسكروا جميعاً بين الرقة وحران واقبل اليهم الأشتر فاقتتلوا قتالاً شديداً وفشت فيهم الجراح واسرع الأشتر فيهم ، فلما حجز الليل بينهم ، سار الضحاك من ليلته فنزل حران ، وأصبح الأشتر ، فاتبعهم حتى حاصرهم بحران ، واتى الصريخ معاوية ، فدعا عبد الرحمن بن خالد بن الوليد فأمره بالمسير لإنجاد الضحاك ، فلما بلغ الأشتر ذلك كتب كتابه ليعاجل الضحاك ، ثم مضى فمر بالرقة فتحصنوا منه واتى قرقيسيا فتحصنوا منه وبلغ عبد الرحمن انصرافه فأقام ... بعد ان سمع بانصراف الأشتر (١) .

وعند الدينوري : ((اقتتلوا بين حران والرقة بموضع يقال له المرج الى وقت المساء وبلغ ذلك معاوية فأمد الضحاك بعبد الرحمن بن خالد بن الوليد في خيل عظيمة فبلغ ذلك الأشتر فانصرف الى الموصل واقام بها يقاتل من اتاه من جند معاوية)) (٢) . وهذا يعني ان معاوية قد ولي الضحاك ولاية الموصل وما يتبعها ، منذ ان كان والياً على الشام والموصل اي قبل ان يصطدم مع علي بن ابي طالب (ﷺ) في معركة صفين ، ومن ثم تحول الامر الى التحكيم واصبح معاوية خليفة بعد ان كان مجرد والياً متمرداً على سلطة الخلافة ، فهذا يدل على قوة العلاقة الوطيدة بين معاوية بن ابي سفيان والضحاك بن قيس الفهري ، وفي الحقيقة قد برهنت الحوادث ان الضحاك بن قيس على صلة مباشرة مع معاوية قبل احداث صفين ولهذا فلا عجب اذا ما رأينا الضحاك حاضراً في كل مفاصل حياة معاوية فيما بعد ، فتارة يستشيره وتاره يؤمره وتارة اخرى يستخلفه ،

(١) البلاذري : انساب الاشراف ، ج ٢ / ٤٧١ .
(٢) الاخبار الطوال ، ج ١ / ١٥٤ .

وعندما ذهب معاوية الى العراق واستخلف الضحاك بن قيس الفهري على الشام حيث يقول البلاذري ((وتوجه معاوية الى العراق واستخلف الضحاك بن قيس وجد في المسير وقال اتتني كتب اهل العراق يدعونني الى القدوم عليهم فأومن بريئهم ويدفعون الي بَغيتي ...)) [١] .

وعندما تنازل الحسن بن علي (ﷺ) عن الخلافة لمعاوية بن ابي سفيان عام (٤١ هـ) وهو العام الذي سمي بعام الجماعة وهدأت الأوضاع واستتب الامر لمعاوية ، نلاحظ ان معاوية يتخذ من الضحاك بن قيس الفهري قائداً لشرطته [٢] ، وبقي في هذا المنصب الى ان توفي زياد بن ابيه في العراق فولي الضحاك بن قيس الكوفة عام (٥٣ هـ) [٣] ، وقد اختلفت المصادر التاريخية في تحديد سنة تعيينه على هذه الولاية ، فابن قتيبة يذكر سنة (٥٣ هـ) تاريخ تعيينه كما مَر ذكره اعلاه ، في حين يذكر البلاذري سنة (٥٤ هـ) فأقره عليها سنة ثم عزله [٤] .

في حين يذكر الطبري في احداث عام (٥٥ هـ) تاريخ مغاير لبقية المصادر حيث يقول ((في هذه السنة عزل معاوية عبدالله بن خالد بن اسيد عن الكوفة وولاها الضحاك بن قيس الفهري)) [٥] .

وان اختلفت المصادر التاريخية في تحديد سنة تعيين الضحاك بن قيس على الكوفة ، نلاحظ انها اتفقت على ان الضحاك بن قيس قد تولى ولاية الكوفة ، وكان احد الولاة الذين تولوا ادارتها في خلافة معاوية بن ابي سفيان ، وكما اختلفوا في سنة تعيينه ،

---

(١) انساب الاشراف ، ج ٣ / ٣٦ – ٣٧ ؛ البغدادي ، احمد بن علي ابو بكر الخطيب : تاريخ بغداد ، دار الكتب العلمية ، (بيروت – د . ت) ، ج ١ / ٢٠٨ .

(٢) الصفدي : الوافي بالوفيات ، ج١٣ / ١٤٦ .

(٣) ابن قتيبة : المعارف ، ج ١ / ٤١٢ ؛ الصفدي : الوافي بالوفيات ، ج ١٣ / ١٤٦ ؛ الزركلي : الأعلام ، دار العلم للملايين ، ط ٥ ، (بيروت _ ١٩٨٠ م) ، ج ٣ / ٣٠٩ ؛ زامباور : معجم الانساب والاسر الحاكمة ، ص ٦٧ .

(٤) انساب الاشراف ، ج ٥ / ١٦١ .

(٥) تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ / ٣٠٠ .

اختلفوا في المدة التي قضاها الضحاك بن قيس والياً عليها ، فالطبري يذكر انه بقي والياً عليها الى عام (٥٨ هـ) ،

حيث يقول ((وفي سنة ٥٨ هـ عزل الضحاك بن قيس عن الكوفة وفي هذه السنة خرجت الطائفة الذين كان المغيرة بن شعبة حبسهم في السجن من الخوارج ...)) [١] . بينما يذكر الصفدي انه عُزل عام (٥٧ هـ) [٢] ، في حين يذكر البلاذري في احدى رواياته ان معاوية ولاه الكوفة سنة (٥٤ هـ) وعزله بعد سنة من توليه عليها [٣] .

وبما ان اغلب المصادر التاريخية قد اجمعت على ان الضحاك بن قيس قد تولى ولاية الكوفة عام (٥٣ هـ) كما مَر ذكره آنفاً ، فأننا بدورنا نرجح ذلك التاريخ خاصة وان لم يذكر اسم اي والي تولى الكوفة بعد وفاة زياد بن ابيه عام (٥٣ هـ) سوى عبدالله بن خالد بن اسيد حسب ما ذكرت المصادر التاريخية الا انها اجمعت بدورها على ان الضحاك هو الذي تولى حكم ولاية الكوفة عام (٥٣ هـ) ، بعد عزل عبدالله عنها ويبدو انه عين وعُزل عنها في السنة ذاتها وانه لم يبقى والياً عليها الا ايام او اسابيع قليلة ، ثم جاء كتاب عزله من قبل معاوية وتولي الضحاك بن قيس بدلاً عنه [٤] .

<u>ولاية الضحاك بن قيس على الكوفة سنة (٥٣ هـ) :</u>

لم تذكر لنا المصادر التاريخية شيئاً يذكر عن ولاية الضحاك على الكوفة سواء اكان فتوحات قام بها او اي مشكلة او ثورة حدثت اثناء ولايته على هذه الولاية ، سوى انه قام بتفقد قصر الخورنق ((قصر النعمان بن المنذر)) واصلحه [٥] .

---

(١) تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ / ٣٠٩ .

(٢) الوافي بالوفيات ، ج ١٣ / ١٤٦ .

(٣) انساب الاشراف ، ج ٥ / ١٤٦ .

(٤) ابن قتيبة : المعارف ، ص ٤١٢ ؛ الطبري : تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ / ٢٩٢ ؛ ابن عساكر : تاريخ دمشق الكبير ، ج ٢٦ / ٢٠٠ ؛ الذهبي : سير اعلام النبلاء ، ج ٣ / ٢٤٢ .

(٥) ابن حبان، محمد بن خلف: اخبار القضاة، (بيروت– د.ت)، ج ٢ / ٢١٤ ؛ الزركلي : الاعلام ، ج٣/٢١٤ .

((ودخل شُريح القاضي (*) على الضحاك بن قيس فقال لـه : يا شريح هل رأيت بناء قط أحسن من هذا ؟ قال : نعم قد رأيت ما هو أحسن منه ، قال كذبت والله يا شـريح ، قـال شريح : سبحان الله واين السماء وما بناها ؟ ...)) (١) .

ويبدو لنا من خلال خطب الضحاك بن قيس الفهري انـه تعامل مع اهل الكوفة بالشدة والضـراوة وانـه اتبـع سياسـة سلفه زيـاد بـن ابيـه فـي ادارة ولايـة الكوفـة ، اذ لاحظ الضحاك بن قيس ان الشدة هي السياسة الأنجع في ادارة وحكم هذه الولايـة المتمردة دائماً وابدا على السلطة الاموية ويتضح ذلك بشكل جلي وواضح من خلال الخطبة التي القاها علـى مسامع اهل الكوفة حين بلغـه ان قوماً من اهلها يشتمون عثمان بن عفان (ﷺ) ويبـرؤون منـه إذ يقول : ((بلغنـي ان رجـالاً منكم ضـلالاً يشـتمون أئمـة الهـدى ويعيبـون أسلافنا الصالحين اما والذي ليس له ند ولا شريك لئن لم تنتهوا عما بلغني عنكم لأضعن فيكم سيف زياد ثم لا تجدوني ضعيف السورة ولا كليل الشفرة اما انـي لصاحبكم الذي اغرت على بلادكم فكنت اول من غزاها في الاسلام وشرب من ماء الثعلبية)) (٢) .

وفي رواية اخرى تذكر هذه الخطبة الا ان فيها بعض الزيادة والخلاف حين يقول : ((خطب الضحاك بن قيس على منبر الكوفة فحمد الله واثنى عليه وقال : ان فيكم رجالاً يشتمون اسلافنا الصالحين ... والله انـي لصاحبكم الذي أغرت على بلادكم فسرت فيها بين الثعلبية وشاطئ الفرات اعاقب من شئت واعفوا عمن شئت وقد ذعرت المخبآت في خدورهن حتى ان المرأة لترهب صبيانها بي اذا بكوا فما تسكنهم الا بإسمي واعلموا اني الضحاك بن قيس ابو انيس قاتل ابن عميس ...)) (٣) .

اما عن تعامله مع المقصرين وخاصة عماله فكان شديداً معهم لا مجال للمحاباة مع من يجد عليه او يثير سخطه ، ولعل هذه الرواية التي سنذكرها تدعم ما ذهبنا اليه حيث يورد

(*) شُريح القاضي : هو الفقيه ابو امية شريح بن الحارث بن قيس بن الجهم الكندي قاضي الكوفة ، له صحبه ولم يصح بل هو من اسلم من حياة النبي (ﷺ) وحدث عن عمر وعلي (ﷺ) ، ولاه الخليفة عمر (ﷺ) قضاء الكوفة ويقال له قاضي المصرين ، توفي سنة (٨٠ هـ)، للمزيد ينظر، الذهبي: سير اعلام النبلاء، ج٥/٤٩.

(١) ابن حبان : اخبار القضاة ، ج ٢ / ٢١٤ .

(٢) صفوت ، احمد زكي صفوت : جمهرة خطب العرب ، (بيروت – د . ت) ، ج ٢ / ٢٧٨ .

(٣) البلاذري : انساب الاشراف ، ج ١١ / ١٥ .

هذا الخبر : ولي ذكوان مولى مالك ويكنى ابا خالد وهو الذي سار في ليلة واحدة من مكة الى المدينة ، سوق الكوفة ، ويقال عملاً غير ذلك فوجَد عليه ، فأمر به فقرب اليه والضحاك على سرير مرتفع وجعل يضربه بقضيب ، ويقال بسوط وكان ذكوان فقيراً فقال له : تطاول لا امَّ لكَ حتى استمكن ضربك ، ويقال تطاول لئلا يقع الضرب على رأسه ، فقال ذكوان يهجي الضحاك بن قيس :

تطاولتُ للضحاك حتى رددته ... الى نسب في قومه متقاصر
فلو شهدتني من قريش عصابة ... قريش البطاح لا قريش الظواهر
لغطوك حتى لا تتنفس ... كما غط في الدوارة التزاور
ولكنهم غابوا فأصبحت حاضراً ... فقبحت من حامي ذمار وناصر
فريقاً من منهم ساكن بطن ... ومنهم فريق ساكن[1]

فبلغ معاوية شعره فقال له : قاتله الله والله ما زلت اتوقع ان يفرق شعراء العرب بين قريش الظواهر وقريش البطاح [2] .

ولما عُزل الضحاك بن قيس عن الكوفة عام (٥٨ هـ) ودخل على معاوية قال له معاوية ممازحاً على ما يبدو :

تطاولتُ للضحاك حتى رددته ... الى حسب في قومه متقاصر[3]

فقال له الضحاك : قد علم قومنا اننا احلاس الخيل فقال صدقت انتم احلاسها ونحن فرسانها [4] .

---

(١) البلاذري : انساب الاشراف ، ج ١١ / ٥٣ .
(٢) المصدر نفسه ، ج ١١ / ٥٣ – ٥٤ .
(٣) ابن عساكر : تاريخ دمشق الكبير ، ج ٢٦ / ٢٠٢ .
(٤) المصدر نفسه ، ج ٢٦ / ٢٠٢ ، وقصد بقوله انتم راضه وساسة ونحن الفرسان ، ارى اصله من الحلس وهو كساء يكون تحت البردعة ، أي تلزم ظهورها كما يُلزم الحلس ظهر البعير ، للمزيد ينظر ، ابن منظور ، ابن الفضل جمال الدين : لسان العرب ، (بيروت – ١٩٩٧ م) ، مج ٦ / ٥٤ .

وخطب يوماً في اهل الكوفة محذراً لهم من استغلال الناس واحتكار البضائع عن الناس من اجل رفع اسعارها فقال : ((قال رسول الله (ﷺ) : لعن الله المحتكرين ، والله لا عرفت من دجلٍ احتكاراً الا قطعتُ يدهُ وابحت للناس ما احتكر من طعامه)) (١) .

ومكث الضحاك والياً على الكوفة زهاء اربع سنوات او خمس ، إذ اختلفت المصادر ايضا في السنة التي عزل فيها عن ولاية الكوفة ، فبعضها يذكر انه عزل عام (٥٧ هـ)(٢) ، في حين تذكر مصادر اخرى انه عزل عام (٥٨ هـ) ومن ثم عُين والياً على دمشق (٣) ولا نعلم الدوافع وراء عزل الضحاك عن ولاية الكوفة وتوليته ولاية دمشق .

ولايته على دمشق :

عُين الضحاك بن قيس الفهري والياً عل دمشق حالما عُزل عن الكوفة ، وبما انه عُزل عنها عام (٥٧ او ٥٨ هـ) كما مَر ذكره سابقاً ، فهذا يعني انه عُين عام (٥٧ هـ) او العام الذي يليه ، اذ لم تذكر المصادر التاريخية السنة المحددة التي عُين فيها والياً على دمشق ، واكتفت بذكر تعيينه فقط ، فعلى سبيل المثال يورد الذهبي خبر تعيينه بهذا القول : ((مات زياد بن ابيه سنة ثلاث وخمسين بالكوفة ، فولاها معاوية الضحاك ثم صرفه وولاه دمشق ... فبقي على دمشق حتى هلك يزيد)) (٤) .

اما ابن عساكر فيقول هذا الخبر من دون تحديد الستة ايضا : ((وولي معاوية الضحاك بن قيس على دمشق ، واقر يزيد بن معاوية الضحاك بن قيس الفهري على دمشق حتى مات يزيد)) (٥) .

وفي حديثه عن احداث سنة (٥٨ هـ) يذكر الطبري ما نصه : ((وفي هذه السنة ولى معاوية الكوفة عبد الرحمن بن عبدالله بن عثمان بن ربيعة الثقفي ... وعزل عنها الضحاك بن قيس)) ، ومن المهام التي اسندت الى الضحاك علاوة على كونه والياً

---

(١) البلاذري : انساب الاشراف ، ج ١١ / ٥٥ – ٥٦ .

(٢) الصفدي : الوافي بالوفيات ، ج ١٣ / ١٤٦ .

(٣) الطبري : تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ / ٣٠٩ ؛ ابن عساكر : تاريخ دمشق الكبير، ج ٢٦ / ١٩٧

(٤) سير اعلام النبلاء ، ج ٣ / ٢٤٢ .

(٥) تاريخ دمشق الكبير ، ج ٢٦ / ٢٠٠ ، في حين سكت ابن سعد عن ذكر أي شيء عن ولايته على دمشق بالرغم من ترجمته للضحاك ، الطبقات الكبرى ، ج ٦ / ٥٤٣ وما بعدها .

لدمشق تعيينه قائداً لشرطتها [١] ، وهذا المنصب من المناصب المهمة والحساسة ، فهو لا يقتصر على ضبط الأمن والنظام ، وانما يتولى مهمة حجابة الخليفة نفسه في اغلب الاوقات التي يخرج فيها الخليفة الى الاسواق واماكن اخرى ، كما انه على تماس تام مع الخليفة في اوقات عديدة ، وبحكم موقعه في السلطة والمنصب الذي اوكل اليه ، بالإضافة الى العلاقة الوطيدة التي تربط الضحاك بمعاوية قبل تنصيب هذا الاخير خليفة ، نلاحظ ان الضحاك قد اصبح احد ابرز المقربين من معاوية بتعيينه مستشاراً له ، وممن يثق بهم ويعول على رأيهم [٢].

كما كان الضحاك ايضا من سمار معاوية وممن يترددون على مجلسه ويستأنس بهم ، ((قال معاوية يوماً ، وعنده الضحاك بن قيس الفهري ، وسعيد بن العاص ، وعمرو بن العاص السهمي ، ويزيد ابنه : ما اعجب الأشياء ؟ ما لم يَر مثله ... وقال يزيد اعجب الأشياء هذا السحاب الراكد بين السماء والأرض لا يدعمه شيء ...)) [٣] .

<u>موقفه من استخلاف يزيد بن معاوية :</u>

وقف الضحاك بن قيس الى جانب معاوية بن ابي سفيان (ﷺ) عندما عرض فكرة تولية ابنه يزيد خليفة من بعده ، واستعان به معاوية ليمهد لتولية ابنه وليرى رأي الناس بهذه الفكرة الطارئة على الاسلام ، اذ لم يسبقه اليها احد من الخلفاء الذين سبقوه ، وعن ذلك يورد كتاب الإمامة والسياسة المنسوب لابن قتيبة ما نصه : ((فلما اجتمعت وفود الامصار بدمشق وفيهم الاحنف بن قيس دعا معاوية الضحاك بن قيس الفهري فقال له : اذا جلست على المنبر وفرغت من بعض موعظتي وكلامي فاستأذني للقيام فاذا اذنت لك فاحمد الله تعالى واذكر يزيد وقل فيه الذي يحق له عليك من حسن الثناء عليه ثم ادعني الى توليته من بعدي فاني رأيت وأجمعت توليته فاسأل الله في ذلك وفي غيره الخيرة وحسن القضاء ، ثم دعا عبد الرحمن بن عثمان الثقفي وعبدالله بن مسعدة الفزاري

(١) تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ / ٣٠٩ .

(٢) الطبري : تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ / ٩٨ .

(٣) المصدر نفسه ، ج ٥ / ٩٨ .

ومعن بن ثور السُلمي ... فأمرهم ان يقوموا اذا فرغ الضحاك وان يصدقوا قوله ويدعو الى بيعة ...)) (١) .

فلما صعد معاوية المنبر وفرغ من كلامه قام الضحاك بن قيس واستأذن من معاوية فقال له معاوية ما تريد فقال الضحاك بن قيس بعد ان حمد الله واثنى عليه ثم قال : اصلح الله امير المؤمنين وامتع إنا قد بلونا الجماعة والألفة فوجدناها احقن للدماء وآمن للسبيل وخيراً من العاقبة والآجلة ولا خير لنا ان نترك سُدى ، والايام عوج رواجع الانفس بُعد عن عليها ويُراح والله يقول (كل يوم هو في شأن) ولسنا ندري ما يختلف به العصران وانت يا امير المؤمنين ميت كما مات من كان قبلك من انبياء الله وخلفاءه نسأل الله تعالى بك المتاع ، وقد رأينا من دعة يزيد ابن امير المؤمنين وحسن مذهبه وقصد سيرته ويمن نقيبته مع ما قسم الله له من المحبة في المسلمين والشبه بأمير المؤمنين في عقله وسياسته وشيمته المرضية ما دعانا الى الرضا به في امورنا والقنوع به في الولاية علينا فليوليه امير المؤمنين اكرمه الله عهده وليجعله لنا ملجأ ومفزعا بعده نأوي اليه ان كان كون فانه ليس احد احق بها منه فاعزم على ذلك عزم الله لك في رشدك ووفقك في امورنا (٢) .

وعند البلاذري : ((ان الضحاك بن قيس الفهري قال لمعاوية ، وقد اخذ الناس مجالسهم وكان ذلك بأمر معاوية : يا امير المؤمنين اجمع شمل هذه الامة بيزيد فانه افضلنا حلماً واحكمنا علماً ، فقال الاحنف يا امير المؤمنين العن من يأمرك ويشير عليك ولا ينظر لك فانك اعلم بالجماعة ... فضحك معاوية وقال حسبك رحمك الله ..)) (٣) .

من خلال هذه الخطب آنفة الذكر يتبين لنا موقف الضحاك الداعم والمؤيد والممهد لفكرة تولية يزيد وان كانت هذه الفكرة جاءت من والي الكوفة المغيرة بن شعبة الثقفي (٤١–

---

(١) ابن قتيبة الدينوري ، ابو محمد عبد الله بن مسلم : الامامة والسياسة ، تحقيق خليل منصور ، دار الكتب العلمية ، (بيروت – ١٩٩٧ م) ، ج ١ / ١٣٥ .

(٢) ابن قتيبة : الامامة والسياسة ، ج ١ / ١٣٥ ؛ صفوت : جمهرة خطب العرب ، ج ٢ / ٢٣٨ .

(٣) انساب الاشراف ، ج ٤ / ٢٢٣ .

٥٠هـ)[١]، فالمغيرة هو الذي بثها على مسامع معاوية قبل وفاته ، الا ان معاوية اجلها الى قبيل وفاته ، بعد ان لاحظ الوقت المناسب لها لا سيما بعد وفاة زياد بن ابيه عام (٥٣ هـ) الرافض لهذه الفكرة تماماً [٢] .

وقد برهنت هذه الخطبة ايضا قدرة الضحاك الخطابية وقوة بلاغته. ، حيث اوصل الفكرة بكلمات مقتضبة منمقة اصابت ما كان يصبو اليه هو ومعاوية بكلمات قليلة وبجمل قصيرة وسلسة ، ولا عجب في ذلك فالضحاك ينتمي الى قبيلة قريش التي عرف عنها البلاغة الخطُابة ، كما انه نشأ وترعرع في بلاد الحجاز التي تركت بيئتها بسماتها عليه من حيث الشجاعة والبلاغة وقوة الشكيمة .

وفاة معاوية بن ابي سفيان عام (٦٠ هـ) وموقف الضحاك من ذلك :

عند وفاة معاوية بن ابي سفيان (ﷺ) كان للضحاك حضوراً واضحاً ، وعن ذلك يذكر الطبري : ((ان معاوية لما حضره الموت ، وذلك سنة ستين هجرية وكان يزيد غائباً ، فدعا بالضحاك بن قيس الفهري وكان صاحب شرطة معاوية ، ومسلم بن عقبة المري ، فأوصى اليهما فقال بلغا يزيد وصيتي انظر اهل الحجاز فانهم اصلك ...)) [٣] ، فلما مات معاوية تولى الضحاك ابلاغ الناس خبر وفاته كما اشرف على الصلاة عليه ودفنه وحث الناس على الطاعة والسكينة حتى يحضر ابنه وولي عهده يزيد ، وفي موضع اخر يقول الطبري : ((ولما مات معاوية خرج الضحاك بن قيس حتى صعد المنبر واكفان معاوية على يديه تلوح فحمد الله واثنى عليه ثم قال : ان معاوية كان عود العرب وحد العرب قطع الله عز وجل به الفتنة وملكه على العباد وفتح به البلاد الا انه قد مات فهذه اكفانه فنحن مدرجوه فيها ومدخلوه قبره ومخلون بينه وبين عمله ثم هو في البرزخ الى يوم القيامة ...)) [٤] .

---

(١) للمزيد ينظر ، المشهداني ، عدنان شعبان عبد : المغيرة بن شعبة الثقفي ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية التربية ، جامعة الموصل ، ٢٠٠١ ، ص ٦٤ وما بعدها .

(٢) الطبري : تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ / ٣٠٢ .

(٣) تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ / ٣٢٣ .

(٤) المصدر نفسه ، ج ٥ / ٣٢٧ .

وتولى الضحاك بن قيس الصلاة عليه بسبب غيبة يزيد بن معاوية في ذلك الوقت وتولى كذلك دفنه حيث دفن في دمشق [١] .

وتولى ايضا اخبار يزيد بوفاة والده ببريد بعثه له يخبره بوجع ابيه معاوية ، فاقبل يزيد وقد دفن والده ، فأتى قبره فصلى عليه ثم دعا له [٢] ، ثم رجع يزيد ودخل دار فأقام ثلاثة ايام لا يخرج للناس ثم خرج وعليه اثر الحزن [٣] فصعد المنبر واقبل الضحاك بن قيس فجلس الى جانب المنبر فخاف عليه الحصر ، فقال له يزيد أجئت تعلم بني عبد شمس الكلام ثم قام خطيباً...[٤] .

وفي خلافة يزيد بن معاوية (٦٠ – ٦٤ هـ) بقي الضحاك بن قيس ولياً على دمشق حين أبقاه يزيد في منصبه كما مَر ذكره سابقاً .

وكما كان معاوية يستشير الضحاك في الامور الجسام ، فعل كذلك ابنه يزيد ، فعنما تمرد اهل المدينة على يزيد بن معاوية ووقعت معركة الحرة الشهيرة عام (٦٣ هـ) ، عندما اوقع قائد يزيد مسلم بن عقبة المري العقوبة بهم بعد ان رفضوا كل الحلول المطروحة من قبل يزيد ووصل الخبر الى يزيد وعرف ما حل بهم من مصاب [٥] نلاحظ ان يزيد يستدعي الضحاك ويستشيره في العمل الذي يجبر خاطرهم ويخفف عنهم المصاب فأشار عليه الضحاك بما يفعل ، حيث يذكر لنا هذا الخبر : ((ان مسلم بن عقبة المري بعث روح بن زنباع الجذامي الى يزيد بشارة الحرة ، فلما اخبره بما وقع قال : واقدماه ، ثم دعا الضحاك بن قيس الفهري فقال له : ترى ما لقي اهل المدينة ، فما الذي يجبرهم ؟ قال : الطعام والاعطية ، فأمر بحمل الطعا اليهم وافاض عليهم اعطيتهم)) [٦]

---

(١) اليعقوبي : تاريخ اليعقوبي ، ج ٢ / ٢٣٩ .
(٢) الطبري : تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ / ٣٢٧ – ٣٢٨ .
(٣) ابن عبد ربه : العقد الفريد ، ج ٤ / ٣٥٠ .
(٤) المصدر نفسه ، ج ٤ / ٣٥٠ .
(٥) اليعقوبي : تاريخ اليعقوبي ، ج ١ / ٢٠٩ .
(٦) ابن كثير : البداية والنهاية ، ج ٨ / ٢٥٦ .

، وهذا خلاف ما يذكره البعض عنه من انه شمت بهم واشتفى بقتلهم ، وانه انشدَ ذكر الشاعر ابن الزعبري ... (١) .

وعندما رفض عبدالله بن الزبير مبايعة يزيد بالخلافة واصر على موقفهِ نلاحظ ، ان يزيد يرسل وفداً من خيرة رجاله وقواده من بينهم الضحاك بن قيس من اجل اقناعه والعدول عن رأيه وانه سوف يعفي عنه ان هو ارعوى وانصاع الى طريق الحق ورفض طريق العصيان ، وهو ما ذكره البلاذري حين قال : ((فقال له عبدالله بن جعفر ، ومعاوية بن يزيد يا امير المؤمنين ان ابن الزبير رجل أبيٌّ لجوج فدعه الى امرٍ ولا تهجه ، لما لا تحتاج اليه فأوفد اليه الصين بن نمير السكوني وعقبة بن مسلم المري وزفر بن حارث الكلابي وعبدالله بن عضاة الاشعري وروح بن زنباع الجذامي ... والضحاك بن قيس الفهري وامرهم ان يعلموه انما بعثت بهم احتجاجاً عليه واعذاراً اليه وان يحذروه الفتنة ويعرفون ما له عنده من البر والتكرمة اذا ابر بيمينه واتاه في الجامعة التي بعثها اليه معهم ، وكان قد دفع اليهم جامعة من فضة ...)) (٢) .

فذهب الوفد الى ابن الزبير وفشل في اقناع ابن الزبير في العدول رأيه بسبب تعنت ابن الزبير واصراره (٣) .

ولم يكتفي يزيد بهذا الوفد من اجل اقناع ابن الزبير ، حيث ارسل رسولاً من اجل اقناعه هذه المرة فكان الضحاك بن قيس ممن وقع اختياره عليهم ، وعن ذلك يقول البلاذري : ((بعث يزيد بن معاوية الضحاك بن قيس ليأخذ البيعة من ابن الزبير فأبى ان يبايع فقال الضحاك : انك ان لم تبايع طائعاً بايعت كارهاً ، فقال ابن الزبير : ((انك يا

---

(١) المصدر نفسه ، ج ٨ / ٢٣٥ ، وعن ما قيل من شماتة يزيد في قتلى الحرة يراجع ، المصدر نفسه ، ج ٨ / ٢٢٢ ، حيث يقول ابن الزعبري :

ليت أشياخي ببدرٍ شهدوا جزع الخزرجِ من وقعِ الاسلِ

حين حلت بفنائهم بركها واستحر القتل في عبد الاشهلِ ، ابن كثير : البداية والنهاية ، ج ٨ / ٢٤٥ .

(٢) انساب الاشراف ، ج ٥ / ٣٠٨ .

(٣) للمزيد ينظر ، المشهداني ، عدنان : آل الزبير ودورهم في عصر صدر الإسلام والدولة الأموية ، اطروحة دكتوراه غير منشورة ، كلية الآداب ، جامعة الموصل – ٢٠٠٦ م ، ص ١٨٥ وما بعدها .

ثعلبة بن ثعلبة تيسُ بحيرةٍ يبيع الغرب الضربة بالقبضة اردت الحقحقة فأخطأت استك الحفرة)) [١] .

ويبدو ان الضحاك بأمر من يزيد اصر على ان يبلغه هذه الرسالة ويهدده ان هو لم يغير رأيه فأخفق الضحاك بن قيس في هذه المهمة ايضا .

وفاة يزيد بن معاوية عام (٦٤ هـ) :

توفي يزيد بن معاوية ، بعد فترة حكم دامت (٤) سنوات حيث مرض فجأة فلم يبقى الا اياما حتى فاضت روحه ، فأوصى بالخلافة من بعده لابنه معاوية بن يزيد ، ولكن معاوية هذا كان رجلاً ضعيفاً وزاهداً في الدنيا [٢] ، ولم يزل في البيت لا يخرج الى الناس لمرضٍ ألم به ((زكان بأمر الضحاك بن قيس الفهري يصلي بالناس بدمشق ، فلما ثقل معاوية بن يزيد فقيل له لو عهدت الى رجل عهداً واستخلفت خليفة ، فقال : والله ما عنتني حيا فأتصد لها ميتاً وان كان خيراً فقد استكثر منه من آل ابي سفيان لا تذهب بنو أمية بحلاوتها واتقلد مرارتها والله لا يسألني الله عن ذلك ابدا ولكن اذا مت فليصلي الوليد بن عُتبة بن ابي سفيان وليصلي بالناس الضحاك بن قيس حتى يختار الناس لأنفسهم ويقوم بالخلافة قائم)) [٣] .

فلما مات صلى عليه الوليد وقام بأمر الناس الضحاك بن قيس [٤] ، فلما دفن معاوية بن يزيد قال مروان بن الحكم أتدرون من دفنتم قالوا معاوية بن يزيد ، فقال دفنتم ابو ليلى وهذا القول يقال للرجل الضعيف [٥] ، فقال أحدهم اني أرى فتناً تغلي مراجلها فالملك بعد ابي ليلى لمن غلبا واختلف الناس بالشام فكان اول من خالف امراء الاجناد [٦] .

---

(١) انساب الاشراف ، ج ٦ / ٣٥٢ .
(٢) ابن الاثير : الكامل في التاريخ ، ج ٤ / ١٣٠ .
(٣) ابن سعد : الطبقات الكبرى ، ج ٥ / ٣٩ ؛ الطبري : تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ / ٥٣٠ .
(٤) ابن سعد : الطبقات الكبرى ، ج ٥ / ٣٩ .
(٥) ابن قتيبة : المعارف ، ج ١ / ٣٥٢ .
(٦) ابن سعد : الطبقات الكبرى ، ج ٥ / ٣٠٩ .

طبيعة الاوضاع في بلاد الشام بعد وفاة يزيد بن معاوية (٦٤ هـ) :

اضطربت الاوضاع في بلاد الشام اضطراباً شديداً واصبحت البلاد على حافة الحرب الأهلية، خاصة بعد ان قام خليفته وابنه معاوية بن يزيد عن التنازل عن الخلافة ، حيث قال لهم : ابتغيت لكم مثل عمر بن الخطاب (ﷺ) لأجعله خليفة عليكم فلم أجده ، وابتغيت لكم مثل الستة الذين اختارهم عمر (ﷺ) فلم اجد ايضا فروا امركم واختاروا من احببتم ، او ممن ترضونه لأنفسكم [(١)] ، فدخل الى بيته فلم يخرج منه الا ان مات ، ودامت خلافته مدة اربعين يوماً .

وقيل ثلاثة أشهر [(٢)] ، والتاريخ الأول أدق حسب ما ذكرته أغلب المصادر التاريخية [(٣)] .

فعم الهرج والمرج في اغلب قصبات بلاد الشام ، ولم يبقى امام ابن الزبير اي منافس على الخلافة فوصلت الاخبار جيش الحصين بن نُمير السكوني الذي يقود جيش أهل الشام وفارضاً حصاراً على مكة لإجبار ابن الزبير على البيعة ليزيد بن معاوية [(٤)] .

فما ان وصلت الأخبار الحصين حتى اجتمع مع ابن الزبير فطلب منه ان يأتي معه الى بلاد الشام من اجل تنصيبه خليفة لكن ابن الزبير رفض هذه الفكرة ، وكان يرد على الحصين بأعلى صوته ، فقال له الحصين بن نمير ما رأيت أحمق منك اكلمك همساً وتجاوبني بالصراخ من ظن انك حكيم فقد جهل [(٥)] .

---

(١) ابن قتيبة : الامامة والسياسة ، ج ٢ / ١٨٩ ؛ الطبري : تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ / ٥٣١ .

(٢) ابن سعد : الطبقات الكبرى ، ج ٥ / ٢٩ .

(٣) المصدر نفسه ، ج ٥ / ٢٩ ؛ الطبري : تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ / ٥٠٩ ؛ ابن كثير : البداية والنهاية ، ج ٨ / ٢٤٨ .

(٤) الدينوري : الأخبار الطوال ، ج ١ / ٦٧ ؛ الطبري : تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ / ٥٠٢ .

(٥) اليعقوبي : تاريخ اليعقوبي ، ج ١ / ٢١٠ ، وعند الطبري : قبحَ الله من يعدك داهية بعد هذه قط ... ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ / ٥٠٢ .

فانسحب الحصين بن نمير بجيش اهل الشام متجهاً نحو بلاده واهله في الشام فلما وصل اجتمع ببني امية وحثهم على الوحدة وعدم التفرقة وان يختاروا لأنفسهم قبل ان يأتيهم ابن الزبير فتكون فتنة عمياء صماء (١) .

وفي هذه الأوقات المضطربة التي حدثت في بلاد الشام ، انقسم بني امية على انفسهم بين من يريد ان يبايع ابن الزبير وبين من ينتظر ماذا ستجلب لهم الأيام من مفاوضات ، وبين مذهول من هول الصدمة خاصة بعد ان خرجت الأمور من بين ايديهم ولم يعد لهم اي سلطة على الناس في بلاد الشام ، وفي كل هذه الأوقات كان الضحاك بن قيس لا يزال يصلي بالناس حتى يختار الناس لأنفسهم خليفة يرضونه وتجتمع عليه الأمة (٢) .

في هذه الأثناء كتب الضحاك بن قيس الى قيس بن الهيثم (*) ((سلام عليك اما بعد فاني سمعت رسول الله (ﷺ) يقول : ((ان بين يدي الساعة فتناً كقطع الليل المظلم فتناً كقطع الدخان يموت فيها قلب الرجل كما يموت بدنه ، يصبح الرجل مؤمناً ، ويمسي كافراً ويمسي مؤمناً ويصبح كافراً ، يُبيع اقوام اخلاقهم ودينهم بعرض من الدنيا))، وان يزيد بن معاوية مات ، وانتم اخواننا وأشقاؤنا ، فلا سَبقونا حتى نختار لأنفسنا)) (٣) .

في هذه الأثناء بايع امراء الأجناد ابن الزبير علناً ما عدا الضحاك بن قيس الفهري كان يدعو له بالسر حيث يقول ابن سعد : ((اختلف الناس بالشام فكان اول من خالف من امراء الأجناد ، النعمان بن بشير (*) بحمص ، دعا الى ابن الزبير ، وبلغ زفر

---

(١) ابن الاثير : الكامل في التاريخ ، ج ٤ / ١٤٥ .

(٢) الطبري : تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ / ٥٣٠ .

(*) قيس بن الهيثم بن أسماء بن الصلت بن حبيب السُلمي ، من الخطباء الشجعان من أعيان البصرة في صدر الاسلام ، وكان من أنصار بني أمية فيها ، عثماني الهوى وممن يحضُ على نصرة عثمان في البصرة ، ولاه معاوية خراسان سنة (٤٢ هـ) ، واستعمله زياد بن ابيه على مرو الطالقان والحديث عنه يطول ، للمزيد ينظر ، ابن خياط : تاريخ خليفة ، ط ٢ ، ج ١ / ١٧٩ ؛ الزركلي : الأعلام ، ج ٥ / ٢٠٩ .

(٣) ابن عساكر : تاريخ دمشق الكبير ، ج ٢٦ / ١٩٦ ؛ البلاذري : انساب الاشراف ، ج ٢ / ٢٠٢ .

(*) النعمان بن بشير الانصاري : هو اول مولود في الاسلام من الانصار بعد الهجرة بأربعة عشر شهراً ، روى عن النبي محمد (ﷺ) وعن خالد وكثير من الصحابة ، وكان خطيباً مفوهاً ، استعمله معاوية على الكوفة ثم نقله الى حمص ومات سنة (٦٥ هـ) ، ابن حجر : الاصابة في تمييز الصحابة ، ج ٦ / ٣٤٧ .

بن الحارث وهو بقنسرين فدعا الى ابن الزبير ، ثم دعا الضحاك بن قيس الفهري بدمشق الى ابن الزبير سراً)) (١) .

ولم يظهر الضحاك ذلك لِما كان بها من بني امية وكلب ، وبلغ حسان بن مالك بن بحدل (**) ذلك وهو بفلسطين (٢) ، فسار الى الأردن واستخلف على فلسطين روح بن زنباع الجذامي ، وكان من مؤيدي بني امية وخاصة ابني يزيد خالد وعبدالله وكارهاً أشد الكره لابن الزبير ومؤيديه (٣) .

كما بايع ناتل بن قيس الجذامي (***) ابن الزبير في فلسطين واعلن بيعته وتقدم الى روح بن زنباع وطرده من فلسطين لأنه من معارضي ابن الزبير وكارهاً لخلافته (٤) ، وهذا يعني ان الضحاك لم يكن وحده الذي غير ولاءه عن الامويين بل امراء الاجناد وبعض ولاة الامصار في العراق وفلسطين.

فدانت الشام كلها لابن الزبير ما عدا الاردن التي كانت التي كانت تحت سلطة حسان بن بحدل الكلبي فلما وصلت بيعة كل هذه الامصار لعبدالله بن الزبير اصدر اوامره لعامله على المدينة بطرد بني امية منها واجلائهم الى الشام ، فقام والي المدينة بطرد جميع بني امية عنها ومن الذين طردوا اولاد مروان بن الحكم ، عبد الملك واخوته ، وكان عبد الملك في هذه الفترة مريضاً ، فوصلَ بني امية الى الشام حيث يسكن مروان بن الحكم (٥) .

---

(١) الطبقات الكبرى ، ج ٦ / ٥٤٤ .

(**) حسان بن مالك بن بحدل بن أنيف ابو سليمان الكلبي ، امير العرب ، من امراء معاوية يوم صفين وهو الذي شد من أزر مروان بن الحكم وبايعه ، للمزيد ينظر ، الذهبي : سير أعلام النبلاء ، ج ٣ / ٥٣٧.

(٢) ابن سعد : الطبقات الكبرى ، ج ٦ / ٥٤٤ .

(٣) ابن الاثير : الكامل في التاريخ ، ج ٤ / ١٤٥ – ١٤٦ .

(***) سيد جُذام هو ناتل بن قيس بن زيد بن حُبان بن امرؤ القيس الجذامي ، والي شجاع من التابعين كان سيد جذام بالشام شهد صفين مع معاوية ولما مات يزيد كان في فلسطين فوثب على اميرها روح بن زنباع واخرجه ودعا لعبدالله بن الزبير ، للمزيد ينظر ، ابن حجر ، ابو الفضل احمد بن علي بن محمد بن احمد العسقلاني : تهذيب التهذيب ، (الهند – ١٣٢٦ هـ) ، ج ١ / ٣٩٨ .

(٤) ابن كثير : البداية والنهاية ، ج ٨ / ٢٣٩ .

(٥) اليعقوبي : تاريخ اليعقوبي ، ج ١ / ٢١١ .

اما الطبري فيقول : ((وقد كان عبدالله بن الزبير كتب الى عامله بالمدينة ان ينفي بني امية من المدينة ، فنفوا بعيالاتهم ونسائهم الى الشام فقدمت بنو امية دمشق وفيها مروان بن الحكم ، فكان الناس فريقين : حسان بن مالك بالأردن يهوى بني امية ويدعو اليهم ، والضحاك بن قيس الفهري بدمشق يهوى هوى ابن الزبير ويدعو اليه)) (١)

اما المسعودي فيقول : ((ودعي له على سائر منابر الحجاز ومصر والشام والجزيرة والعراق وخراسان وسائر امصار الاسلام الا طبرية من بلاد الاردن فان حسان بن مالك بن بحدل الكلبي ... امتنع عن الدعاء لابن الزبير والدخول في طاعته واراد عقد الامر لخالد بن يزيد وكان ابن اختهم)) (٢) .

من خلال هذه الروايات الآنفة الذكر يتبين لنا مدى التأييد الكبير الذي حصل عليه عبدالله بن الزبير في بلاد الشام وغيرها من الامصار وهنا برزت قوة شخصية حسان بن بحدل الذي استطاع ان يقلب موازين القوى لصالح بني امية بعد ان هموا بمبايعة ابن الزبير وحتى مروان بن الحكم نفسه اراد ان يبايع ابن الزبير لولا ان تصدى له والي العراق السابق عبيدالله بن زياد الذي هرب من اهل العراق واتجه نحو الشام ، ففي العراق التقى بمروان وهو في طريقه للذهاب الى ابن الزبير ليبايعه فقال له : ((لقد استحيت لكَ مما تريد ، انت كبير قريش وسيدها وتصنع ما تصنع ، فقال ما فات شيء بعد فقام معه بنو امية ومواليهم فسار وهو يقول ما فات شيء بعد)) . (٣)

فرده عن رأيه واقنعه ان يرشح نفسه للخلافة ، اما عن حسان بن بحدل فما ان وصل الى مسامعه بمبايعة الضحاك بن قيس لابن الزبير حتى اسرع وكتب كتاباً للضحاك بن قيس يعظم فيه حق بني امية وبلاءهم عنده ويذم ابن الزبير ويذكر خلافه ومفارقته الجماعة وفي الوقت نفسه اقترح حسان بن بحدل على الضحاك ومن معه ممن ايده بمبايعة ابن الزبير عن الكف عن ذلك وان يختاروا رجلاً من بني حرب ليبايعوه على

---

(١) تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ / ٥٣١ .

(٢) ابو الحسن ، علي بن الحسين بن علي : التنبيه والإشراف ، تحقيق عبدالله اسماعيل الصاوي ، (القاهرة – د . ت) ، ج ١ / ٣٢٩ .

(٣) الطبري : تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ / ٥٣٠ .

الخلافة [١] وبعث بالكتاب مع رجل يدعى ناغضه بن كريب الطابخي ، واعطاه نسخة من الكتاب ، اي كتب كنابين كتاب امره ان يذهب به الى الضحاك وامره ان يقرأه في خطبة الجمعة على الناس في دمشق ، فان لم يفعل الضحاك وامتنع عن قراءة الكتاب يقوم الرسول بإخراج الكتاب الاخر المنسوخ عنه والذي سيحتفظ الرسول به عنده ويقوم بقراءته على الناس [٢] .

فذهب الرسول واعطى الكتاب للضحاك بن قيس الفهري وبقي ثلاثة ايام حتى حان يوم الجمعة فصعد الضحاك بن قيس المنبر واخذ يخطب بالناس واخذ يماطل ولم يقرأ الكتاب ، فقام رسول ابن بحدل فقال للضحاك ، اقرأ الكتاب فلم يفعل وقال له اجلس فجلس ، فقام بعد برهة وكرر عليه طلبه بأن يخرج الكتاب ويقرأه على الناس فلم يفعل الضحاك واصر على اخفاءه وعدم قراءته ، وهنا اخرج ناغضه الكتاب وقرأه على الناس [٣] .

وهنا اسقط ناغضه ما خطط له الضحاك بن قيس حين فاجئه بإخراجه كتاب حسان بن بحدل المنسوخ ، واخذ يقرأه على الناس ، فلم يكن الضحاك يعلم ان للرسول نسخة ثانية من الكتاب فسقط بيد الضحاك ما كان قد خطط له واضطربت الأوضاع في المسجد ما بين مؤيد ومصدق له وبين معارض ومكذب له فاقتتل الناس في المسجد اما الضحاك بن قيس وكان هذا اول الهرج والمرج [٤] .

ويخبرنا الطبري عن هذه الحادثة واصفاً ما حدث بصورة واضحة ومبسطة بالقول : ((فكتب الى الضحاك كتاباً يُعظم فيه حق بني امية ويذكر الطاعة والجماعة وحسن بلاء بني امية ... ويدعوه الى طاعتهم ، ويذكر ابن الزبير ويقع فيه ويشتمه ويذكر انه منافق قد خلع خليفتين ، وامره ان يقرأ كتابه على الناس ، ودعى رجلاً من كلب يدعى ناغضه فسرح بالكتاب معه الى الضحاك بن قيس ، وكتب حسان بن مالك نسخة ذلك الكتاب ، ودفعه الى ناغضه ، وقال : ان قرأ الضحاك كتابي على الناس وإلا فقم واقرأ هذا الكتاب على الناس ، وكتب حسان الى بني امية يأمرهم ان يحضروا ذلك ، فقدم

---

(١) ابن سعد : الطبقات الكبرى ، ج ٦ / ٥٤٤ .

(٢) الطبري : تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ / ٥٣٢ ؛ الذهبي : سير اعلام النبلاء ، ج ٣ / ١٤٣ .

(٣) ابن سعد : الطبقات الكبرى ، ج ٦ / ٥٤٤ ؛ الطبري : تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ / ٥٣٢ .

(٤) ابن عساكر : تاريخ دمشق الكبير ، ج ٢٦ / ٢٠٣ ؛ ابن كثير : البداية والنهاية ، ج ٨ / ٢٤٠ .

ناغضه بالكتاب على الضحاك فدفعه اليه ، ودفع كتاب بني امية اليهم ، فلما كان يوم الجمعة صعد الضحاك المنبر ، فقام اليه ناغضه فقال : اصلح الله الامير اذع بكتاب حسان فاقرأه على الناس فقال له الضحاك : اجلس ، فجلس ثم قام اليه الثانية فقال له : اجلس ثم قام اليه الثالثة فقال له اجلس ، فلما رآه ناغضه لا يفعل اخرج الكتاب الذي معه فقرأه على الناس ، فقام الوليد بن عتبة بن ابي سفيان فصدق حساناً وكذب ابن الزبير وشتمه ، وقام يزيد بن ابي النمس الغساني فصدق مقالة حسان وكتابه وشتم ابن الزبير وقام سفيان بن الابرد الكلبي فصدق مقالة حسان وكتابه وشتم ابن الزبير ، وقام عمرو بن يزيد الحكمي فشتم حسان واثنى على ابن الزبير واضطرب الناس تبعاً لهم ...)) (١) .

وبعد ان عمت الفوضى مسجد دمشق وانقسم الناس على انفسهم بين مؤيد ومعارض لابن الزبير وتضارب الناس بالأيدي وتبادلوا الشتائم نزل الضحاك بن قيس من على المنبر والقى القبض على الوليد بن عتبة ويزيد بن ابي النمس الغساني وسفيان بن الابرد الكلبي وزجهم في السجن للسيطرة على الموقف وعدم اتساعه خارج المسجد (٢) .

وتذكر المصادر التاريخية ان الذي اسكت الناس وسيطر على الموقف هو خالد بن يزيد بن معاوية ، حين صعد المنبر ووقف على مرقاتين من المنبر وهو يومئذ غلام والضحاك بن قيس على المنبر فاخذ يصرخ بالمتخاصمين وطلب منهم الكف عن المشاحنات حيث تكلم بكلام اوجز فيه لم يسمع مثله فسكن الناس ونزل الضحاك فصلى بالناس الجمعة ، ثم دخل منزله بعد ان اصدر اوامره بإلقاء القبض على المشاغبين ومثيري الفتنة داخل المسجد (٣) .

ومكث الضحاك اياماً في بيته لا يخرج للناس ، وخرج ذات يوم فصلى بالناس صلاة الصُبح ثم ذكر يزيد بن معاوية فشتمه فقام اليه رجل من كلب فضربه بعصا ، واقتتل الناس بالسيوف ، ودخل الضحاك دار الامارة فلم يخرج ، وافترق الناس ثلاث فرق : فرقة زبيرية وفرقة بحدلية تؤيد حسان بن بحدل واهواهم لبني حرب والباقون لا يبالون

---

(١) تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ / ٥٣١ – ٥٣٢ .

(٢) المصدر نفسه ، ج ٥ / ٥٣٢ – ٥٣٣ ؛ ابن عساكر : تاريخ دمشق الكبير ، ج ٢٦ / ٢٠٣ .

(٣) ابن سعد : الطبقات الكبرى ، ج ٦ / ٥٤٤ ؛ الطبري : تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ / ٥٣٣ ؛ ابن عساكر : تاريخ دمشق الكبير ، ج ٢٦ / ٢٠٣ ؛ الذهبي : سير اعلام النبلاء ، ج ٣ / ٢٤٣ .

لمن كان الامر من بني امية[1]، واضطرب اهل دمشق في ابن الزبير وبني امية ، واراد الناس ان يولوا عليهم الوليد بن عتبة بن ابي سفيان الا انه رفض طلبهم ومات في تلك الايام [2] .

وبعث الضحاك الى بني امية فدخلوا عليه في اليوم التالي من تلك الحادثة فاعتذر اليهم وذكر حسن بلائهم عنده وعند مواليه وانه لا يريد شيئاً يكرهونه ، وقال لهم : تكتبون الى حسان ونكتب ، فيسير من الاردن حتى ينزل الجابية [*] ، ونسير نحن وانتم حتى نوافيه بها فنبايع الرجل منكم ، فرضيت بذلك بنو امية وكتبوا الى حسان وكتب اليه الضحاك وخرج الناس وخرجت بنو امية وتوجهوا نحو الجابية [3] ، واستبشر الناس خيراً ، وهنا حدث ما لم يكن في الحسبان حين جاء معن بن ثور بن يزيد بن الاخنس السُلمي وقلب الاوضاع رأساً على عقب ، فقال للضحاك بن قيس : ((دعوتنا الى طاعة ابن الزبير فبايعناك على ذلك وانت تسير الى هذا الاعرابي من كلب تستخلف ابن اخته خالد بن يزيد ! فقال له الضحاك فما الرأي ؟ قال : الرأي ان نظهر ما كنا نسر وندعو الى طاعة ابن الزبير ونقاتل عليها فمال الضحاك بمن معه من الناس فعطفهم ، ثم اقبل يسير حتى نزل مرج راهط)) [4] .

وعند الذهبي : ((وخرج الضحاك وبنو امية يريدون الجابية فلما استقلت الرايات موجهه قال معن بن ثور ومن معه من اشراف قيس للضحاك : دعوتنا الى بيعة رجل احزم الناس رأياً وفضلاً وبأساً ، فلما اجبناك خرجت الى هذا الاعرابي تبايع لابن اخته

---

(١) ابن سعد : الطبقات الكبرى ، ج ٦ ، ٥٤٤ .

(٢) ابن كثير : البداية والنهاية ، ج ٨ / ٢٤٠ .

(*) الجابية : هي قرية من اعمال دمشق ، ثم من عمل الجيدور من ناحية الجولان قرب مرج الصفر في شمالي الحوران ، بالقرب من تل يسمى الجابية ، للمزيد ينظر ، الحموي ، معجم البلدان ، ج ٢ / ٩١ .

(٣) الطبري : تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ / ٥٣٣ ، ويبدو ان اعتذار الضحاك هنا كان مجرد كسب وقت وربما كان يتأمل وصول مدد اليه من ابن الزبير او يستوثق ولاء من حوله ، ومما يؤيد ذلك ميله لرأي معن بن ثور ونزوله في مرج راهط ليواجه الامويين عسكرياً .

(٤) المصدر نفسه ، ج ٥ / ٥٣٤ ، ومرج راهط : هي منطقة بنواحي دمشق ومن اشهر المروج في الشام، الحموي: معجم البلدان ، م ٤ / ص ٣٠ .

قال : فما العمل ؟ قالوا تصرف الرايات وتنزل فتظهر البيعة لابن الزبير ففعل وتبعه الناس ، وبلغ ان الزبير ، فكتب للضحاك بإمرة الشام ونفى من بمكة ولمدينة من الامويين ، فكتب الضحاك الى الامراء الذين دعوا الى ابن الزبير ليبايع له ويأخذ الامان لبني امية فلقيهم بأذرعات [**] عبيدالله بن زياد مُقبلاً من العراق ... فقال لمروان ، سبحان الله ارضيت لنفسك بهذا اتبايع لأبي خبيب وانت سيد قريش وشيخ بني عبد مناف وألهِ لأنت اولى بها منه قال : فما ترى ؟ قال : الرأي ان ترجع وتدعو الى نفسك وانا اكفيك قريش ومواليها)) [١] .

من هذين النصين الآنفين الذكر يتبين لنا كيف لعب معن بن ثور وعبيدالله بن زياد دوراً في دفع الامور نحو الحرب واقتتال الناس وحدث ما حدث من حرب دامية جرت ويلاتها لأجيال متعاقبة وخلقت شرخاً كبيراً بين القبائل العربية دام لدهور ، وان مروان بن الحكم في تلك الفترة لم يفكر بالخلافة ولم يتطلع اليها ، وان الذي شجعه وبث هذه الفكرة برأسه هو عبيدالله بن زياد والي العراق السابق ، واستعد مروان لها وشمر عن ساعديه واثبت لهم انه الرجل الذي يبحثون عنه ، ولم يجدوه لينقذهم مما هم فيه من ضعف وهوان وفوضى .

<u>مؤتمر الجابية :</u>

ذهب بنوا امية الى الجابية ليختاروا لهم خليفة يتفقوا عليه ، فكانت الميول والاهواء مشتتة ، ووافى حسان بن بحدل القدم هناك ، واخذ يصلي بهم اربعين ليلة ، والناس يتشاورون بينهم [٢] من يصلح لهذا الامر الجلي ، ليكون نداً لابن الزبير الذي اجتاحهم وسلب منهم كل بلادهم ومؤيديهم ولم يبقى لهم الا الاردن ، فالحصين بن نُمير كان يرغب ان يولى مروان بن الحكم لكبره ، في حين ان مالك بن هبيرة كان يرغب في ان يولي خالد بن يزيد ، ويشاركه في هذا الرأي حسان بن مالك [٣] ، فقال مالك بن هبيرة

(**) أذرعات : هي بلد في أطراف الشام تجاور أرض البلقاء وعمان ، للمزيد ينظر ، الحموي ، معجم البلدان ، مج ١ / ١٣٠ .

(١) تاريخ الإسلام : ج ٥ ، ١٣٤ .

(٢) البلاذري : انساب الاشراف ، ج ٦ / ٢٦٦ .

(٣) اليعقوبي : تاريخ اليعقوبي ص ٣٢ .

للحصين بن نُمير : ((نبايع خالد بن يزيد فقد عرفت منزلتنا كانت من ابيه ، فقال الحصين بن نمير لا والله لا تأتينا الناس بشيخ ونأتيهم بصبي)) (١) .

ويقصد بالشيخ عبدالله بن الزبير حيث بلغ سنه اثنان وستون عاماً في هذه الفترة ، بينما خالد بن يزيد لا يزال فتى لم يبلغ الخامس عشر من عمره .

وعند الطبري : ((هلم فلنبايع لهذا الغلام الذي نحن ولدنا اباه وهو ابن اختنا ، فقد عرفت منزلتنا كانت من ابيه ، فانه يحملنا على رقاب العرب غداً ... فقال الحصين لا لعمر الله لا تأتينا الناس بشيخ ونأتيها بصبي)) (٢) .

فقال له ما الرأي قال الحصين نبايع مروان فقال له : ((والله لئن استخلفت مروان وآل مروان ليحسدنك على سوطك وشراك نعلك وظل شجرة تستظل بها ... فقال له مالك ويحك يا حصين اتابع لمروان وآل مروان وانت تعلم انهم اهل بيت من قيس ..)) (٣) .

وعند البلاذري فقال الحصين بن نمير : ((لا يأتينا الناس بشيخ ونأتيهم بصبي ... ومروان شيخ قريش والطالب بدم الخليفة المظلوم وهو يُدبرنا ويسوسنا ولا يحتاج الى ان ندبره ونسوسه وغيره يحتاج الى ان يُدبر ويساس ...)) (٤) .

فلما اجتمع رأيهم ان يختاروا مروان بن الحكم قام روح بن زنباع الجذامي فأثنى على مروان وأشادَ به وبهذا الاختيار الأنسب لهذه الظروف الصعبة التي يمر بها بنو امية خاصة والامة عامة فقال : انكم تذكرون عبدالله بن عمر بن الخطاب وصحبته من رسول الله (ﷺ) وقدمه في الاسلام الا انه رجل ضعيف فلا يصلح لهذا الامر الصعب ، اما عبدالله بن الزبير فهو ابن حواري رسول الله (ﷺ) وسبط ابي بكر الصديق (ﷺ) وابن اسماء ذات النطاقين وهو كما تذكرون في قدمه وفضله ، ولكن ابن الزبير منافق قد خلع خليفتين يزيد وابنه معاوية بن يزيد وسفك الدماء وشق عصا المسلمين وليس صاحب أمة محمد (ﷺ) المنافق (٥) ، اما مروان بن الحكم فوالله هو الذي قاتل عن امير المؤمنين

---

(١) البلاذري : انساب الاشراف ، ج ٦ / ٢٦٤ .

(٢) تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ / ٥٣٦ .

(٣) المصدر نفسه ، ج ٥ / ٥٣٦ .

(٤) انساب الاشراف ، ج ٦ / ٢٦٦ – ٢٦٧ .

(٥) الطبري : تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ / ٥٣٦ .

عثمان بن عفان يوم الدار وقاتل علي بن ابي طالب يوم الجمل وانا نرى للناس ان يبايعوا الكبير ويستثيروا الصغير [١] .

فاختار المجتمعون مروان بن الحكم خليفة بدل خالد بن يزيد بن معاوية بسبب صغر سنه ، الا انهم اتفقوا على ان تكون الخلافة من بعده لخالد بن يزيد ومن بعده لعمرو بن سعيد بن العاص المعروف بالأشدق وتعهد مروان بن الحكم بذلك [٢] ، وبعد ان اتفقوا على هذا الاتفاق انتقل مروان بن الحكم ببني امية ومن ايده الى مرج راهط ، وعندما سمع الضحاك بن قيس بخبر تنصيب مروان بن الحكم خليفة ، اخذ البيعة من الناس ومن ايده لابن الزبير ، ثم سار كل واحد منهما الى صاحبه وبمن أتبعه فالتقوا بمرج راهط [٣] .

خديعة عبيدالله بن زياد للضحاك بن قيس :

كان عبيدالله بن زياد قد تعهد لمروان بن الحكم ان يخدع الضحاك بن قيس ويحط من شأنه ان هو (مروان بن الحكم) وافق عل رأيه وامتنع عن مبايعة ابن الزبير لأنه كما قال له عبيدالله بن زياد انت سيد قريش كبير بني عبد مناف فرجع مروان بن الحكم عن رأيه كما اوضحنا آنفا ، وقدم عبيدالله بن زياد دمشق ونزل قريب منها بمنطقة تسمى باب الفراديس احد ابواب دمشق الاربعة واخذ يتردد الى الضحاك بن قيس كل يوم فيسلم عليه ثم يرجع الى منزله، فقال له يوماً : ((يا ابا انيس العجب لك وانت شيخ قريش تدعو لابن الزبير وتدع نفسك ، انت ارضى عند الناس منه لأنك لم تزل متمسكاً بالطاعة والجماعة ، وابن الزبير مُشاق مُفارق مُخالف فادع الى نفسك فدعا الى نفسه ثلاثة ايام ، فقالوا له : اخذت بيعتنا وعهودنا لرجل ثم دعوتنا الى خلعه من غير حدث احدثه والبيعة

(١) البلاذري : انساب الاشراف ، ج ٦ / ٢٦٧ ؛ ابن الاثير : الكامل في التاريخ ، ج ٤ / ١٤٨ .

(٢) المصدر نفسه ، ج ٤ ، ١٤٨ ؛ البلاذري : انساب الاشراف ، ج ٦ / ٢٦٧ ؛ المسعودي : التنبيه والاشراف ، ج ١ / ٢٦٦ .

(٣) ابن عساكر : تاريخ دمشق الكبير ، ج ٢٦ / ٢٠٥ .

لك وامتنعوا عليه ، فلما رأى الضحاك عاد الى الدعاء الى ابن الزبير فافسده ذلك عند الناس وغير قلوبهم عليه)) (١) .

فلما رأى عبيدالله بن زياد ذلك اظهَر له النصح فقال له يا ابا انيس من اراد ما تريد لم ينزل المدائن والحصون ، وانما يبرز ويجمع اليه الخيل (٢) فاخرج عن دمشق وضم اليك الأجناد وكان كل همة زياد ان يخرج الضحاك بن قيس من موقعه الحصين دمشق الى العراء ليتمكن هزيمته وقتله ان أمكن ، وتم له ذلك فخرج ((وكان ذلك من عبيدالله مكيدةً له)) (٣) .

وعند ابن كثير : ((وذلك انما فعله مكراً منه ليفسد عليه ما هو بصدده)) (٤) ، اما البلاذري فيقول : قال الواقدي في بعض روايته :((ان ابن زياد قال لمروان حين بويع : اني ذاهب الى الضحاك بن قيس فمبايعه لابن الزبير ومخبره اني قد كرهنكم ، فقدم ابن زياد على الضحاك فبايعه قسرَ بذلك ، وجعل ابن زياد يَدب في الناس فيفسدهم ويدعوهم لمروان ، وكان ابن زياد اعطى مروان مالاً عظيماً فانفقه على جيشه ، ولم يزل ابن زياد حتى لطفت الحال بينه وبين الضحاك ووثق به فقال له : والله العجب لرأيك في بيعتك ابن الزبير وانت اولى بهذا الامر منه انت شيخ قريش اليوم وسيدها فادع الناس الى بيعتك فلم يزل به حتى خلع ابن الزبير ، ودعا الى نفسه فاختلف عليه جنده ، ثم عادَ الى أمره فكتب ابن زياد الى مروان اني قد صدعت على الرجل أمره وافسدتهُ ، فأقبل مروان حتى نزل مرج راهط ، فأراد الضحاك ان يغلق ابواب مدينته دمشق ويتحصن فيها فقال له ابن زياد ، الا تستحي مما تريد ان تصنع والناس كلهم معك ، اخرج اليه فقاتله ، وانا معك فأخرجهُ ، فلما التقوا انصرف ابن زياد الى مروان بمن كان تابعه)) (٥) .

---

(١) ابن سعد : الطبقات الكبرى ، ج ٦ / ٥٤٥ ؛ ابن عساكر : تاريخ دمشق الكبير ، ج ٢٦ / ٢٠٤ ؛ الذهبي : تاريخ الاسلام ، ج ٥ / ١٣٤ .

(٢) ابن سعد : الطبقات الكبرى ، ج ٦ / ٥٤٥ ؛ الذهبي : تاريخ الاسلام ، ج ٥ / ١٣٥ .

(٣) ابن سعد : الطبقات الكبرى ، ج ٦ / ٥٤٥ .

(٤) البداية والنهاية ، ج ٨ / ٢٤١ .

(٥) انساب الاشراف ، ج ٦ / ٢٨٠ .

ومن هذه النصوص الآنفة الذكر يبدو ان الضحاك ابن قيس كان متذبذباً بين ولاءه وبيعته لابن الزبير وبين طموحه الشخصي ، فربما كان يتطلع الى الخلافة لكنه في وضع لا يساعده على ذلك ، وقد انفرد الطبري بذكر خبر يؤيد رأينا في ان الضحاك ربما ارادها (الخلافة) لنفسه ، الا ان الظروف لم تساعده في ذلك ، يقول الطبري : ((لما ولي المدينة عبد الرحمن بن الضحاك بن قيس كان فتى شاباً فقال : ان الضحاك بن قيس كان قد دعا قيساً وغيرها الى البيعة لنفسه فبايعهم يومئذٍ على الخلافة فقال له زفر بن عقيل الفهري هذا الذي كنا نعرف ونسمع وان ابن الزبير يقولون : انما كان بايعَ لعبدالله بن الزبير ، وخرج في طاعته حتى قتل ، قال : الباطل والله يقولون ، كان اول ذاك ان قريشاً دَعتهُ اليها ، فأبى عليها حتى دخل فيها كارهاً)) [١] .

معركة مرج راهط سنة (٦٤ هـ) ومقتل الضحاك بن قيس :

بعد ان وصل الخلاف الى أوج قمته بين الضحاك بن قيس الفهري زعيم القيسية والمؤيد لابن الزبير والداعي له ، وبين مروان بن الحكم زعيم بني امية المنتخب والمؤيد من قبل القبائل اليمانية في بلاد الشام وعل رأسهم حسان بن بحدل الكلبي ، كان لا بد ان يصطدم الفريقين لحسم الموقف لصالح تحدهما وينهي الامر بعد ان انطلت الخدعة على الضحاك بن قيس الفهري ومنعه من دخول دمشق والذهاب الى مرج راهط ، كتب عبيدالله بن زياد الى مروان بن الحكم كتاباً يُبلغه فيه ان الضحاك خرج من دمشق وذهب الى العراء حيث تذكر المصادر التاريخية هذا الخبر فتقول : ((فكتب عبيدالله الى مروان : ان ادعُ الناس الى بيعتك ثم سر الى الضحاك بن قيس فقد اصحَر لك)) [٢] .

فدعا مروان بني امية للخروج لملاقاة الضحاك بن قيس وقبل ان يذهب الى مرج راهط ، حسَم مسألة خالد بن يزيد بن معاوية حيث خطب امه وتزوجها وهي ابنة هاشم بن عتبة بن ربيعة ليحط من شأن خالد اولاً وليبقيه تحت ناظره ويطمئنه بأنه هو الخليفة من بعده ووعد امه بذلك ، وانضم الى مروان عباد بن زياد اخو عبيدالله بن زياد في الفين من

---

(١) تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ / ٥٣٥ .

(٢) ابن سعد : الطبقات الكبرى ، ج ٦ / ٥٤٦ ؛ ابن عساكر : تاريخ دمشق الكبير ، ج ٢٦ / ٢٠٤ ؛ ابن كثير : البداية والنهاية ، ج ٨ / ٢٤٢ .

مواليه ، ومن كلب أتياً من حوارين [1] ، كما اتته السكاسك والسكون وغسان ، وربع حسان بن مالك بن بحدل الى الاردن [2] ، وكان عدد الجيش الذي استطاع مروان بن الحكم ان يجمعه ثلاثة عشر الف مقاتل اكثرهم رجالة (مشاة) ولم يكن معه سوى ثمانين فرساً ، واغلب قواته من القبائل اليمانية [3] اما جيش الضحاك بن قيس الفهري فكان عدده يفوق اعداد جيش مروان بنسبة الضعف حيث بلغت قوات الضحاك بن قيس الفهري ثلاثين الف مقاتل اغلبهم من القبائل القيسية [4] وكان ممن انضم الى الضحاك بن قيس الفهري زفر بن الحارث الكلابي امير قنسرين ، وأمده النعمان بن بشير الأنصاري بشرحبيل بن ذي الكلاع في أهل حمص [5] ، كما امده ناتل بأهل فلسطين فاجتمعوا عنده [6] ، وكان على ميمنته زياد بن عمرو العقيلي ، اما من كان على ميسرته فقد اختلفت المصادر في ذكره ، فابن عساكر يقول : ((وعل ميسرته بكر بن ابي بشر الهلالي)) [7] ، في حين يذكر ابن سعد اسماً اخر حيث يقول : ((وكان على ميسرته ركز بن ابي شمر الهلالي))[8]، اما الطبري فيذكر اسم قائد الميمنة ولا يذكر اسم قائد الميسرة حيث يقول : ((وعلى ميمنة الضحاك زياد بن عمر العُقيلي وعلى ميسرته رجل اخر لم احفظ اسمه)) [9] ، وعند ابن كثير : ((وعلى ميمنته زياد بن عمرو العقيلي وعلى ميسرته زكريا بن شمر الهلالي))[10]، اما جيش مروان بن الحكم فكان على ميمنته عبيدالله بن

(١) ابن عساكر : تاريخ دمشق الكبير ، ج ٢٦ / ٢٠٤ ، حوارين ، حصن بناحية جمعن ، للمزيد ينظر ، الحموي : معجم البلدان ، ج ٢ / ٣١٥ .
(٢) الطبري : تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ / ٥٣٧ .
(٣) ابن سعد : الطبقات الكبرى ، ج ٦ / ٥٤٦ ؛ الذهبي : سير اعلام النبلاء ، ج ٣ / ٢٤٤ .
(٤) اليعقوبي : تاريخ اليعقوبي ، ج ١ / ٢١١ ؛ ابن سعد : الطبقات الكبرى ، ج ٦ / ٥٤٦ ؛ المسعودي : التنبيه والاشراف ، ج ٢ / ٢٦٧ ؛ ابن عساكر : تاريخ دمشق الكبير ، ج ٢٦ / ٢٠٤ .
(٥) ابن سعد : الطبقات الكبرى ، ج ٦ / ٥٤٦ ؛ ابن كثير : البداية والنهاية ، ج ٨ / ٢٤٣ .
(٦) ابن الاثير : الكامل في التاريخ ، ج ٤ / .
(٧) تاريخ دمشق الكبير ، ج ٢٦ / ٢٠٤ .
(٨) الطبقات الكبرى ، ج ٦ / ٥٤٦ .
(٩) تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ / ٥٣٧ .
(١٠) البداية والنهاية ، ج ٨ / ٢٤٣ .

زياد وعلى ميسرته عمرو بن سعيد بن العاص المعروف بالأشدق [(١)] ، ولما وصل مروان بن الحكم مرج راهط ثار يزيد بن ابي النمس الغساني وكان من مؤيدي مروان بن الحكم ولم يشهد الجابية ، ثار في دمشق حين كان مختبئاً فغلب عليها بمن معه من عبيد دمشق وأوباشها وطرد عامل الضحاك بن قيس عنها وغلب على الخزائن وبيت المال وبايع لمروان وامده بالأموال والرجال والسلاح فكان ذلك اول فتح فُتحَ على بني امية [(٢)] .

وتقاتل مروان بن الحكم والضحاك بن قيس الفهري عشرين ليلة وكانت الحرب بينهم سجال ، الا ان جاءت الليلة الاخيرة عندما اشار عليه عبيدالله بن زياد بتلك الفكرة الماكرة التي حققت النصر وحاقت الهزيمة بالضحاك بن قيس وجيشه على الرغم من كثرة عدده ووجود خيرة ابطال قيس معه ، حيث تذكر المصادر التاريخية هذه الرواية : ((قال عبيدالله بن زياد يوماً لمروان ، انك على حق ، وابن الزبير واصحابه ومن دعا اليه على باطل وهم اكثر منك عدداً واعّد ومع الضحاك فرسان قيس فانت لا تنال منهم ما تريد الا بمكيده فكدهم ، فقد احلَ الله ذلك لأهل الحق والحرب خدعه ، فادعهم الى الموادعة ، فإذا أمنوا وكفوا عن القتال نكر عليهم ، فارسل مروان السفراء الى الضحاك يدعوه الى الموادعة ووضع الحرب حتى ننظر ، فاصبح الضحاك والقيسية فامسكوا عن القتال ، وهم يطمعون ان يُبايع مروان لابن الزبير ، وقد اعد مروان اصحابه فلم يشعر الضحاك واصحابه الا بالخيل قد شدت عليهم ، ففزع الناس الى راياتهم، وقد غشوهم وهم على غير عُدة فاقتتلوا...))[(٣)]، ولزم الناس راياتهم وصبروا ، وصبر الضحاك وابدى من ضروب الشجاعة ما أثار اعجابهم [(٤)] ، فترجل مروان وقال قَبَحَ الله من يوليهم ظهره حتى يكون الامر لإحدى الطائفتين ، واستمر القتال على اشده حيث قتل خيرة فرسان قيس واخيراً قتل الضحاك بن قيس الفهري ، قتله رجل من كلب يدعى زحنه حسب ما يذكر الطبري الذي

---

(١) ابن سعد : الطبقات الكبرى ، ج ٦ / ٥٤٦ ؛ ابن عساكر : تاريخ دمشق الكبير ، ج ٢٦ / ٢٠٤ ؛ ابن الاثير : الكامل في التاريخ ، ج ٤ / ١٤٩ .

(٢) الطبري : تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ / ٥٣٧ .

(٣) ابن سعد : الطبقات الكبرى ، ج ٦ / ٥٤٦ – ٥٤٧ ؛ ابن عساكر : تاريخ دمشق الكبير ، ج ٢٦ / ٢٠٥ ؛ الذهبي : سير اعلام النبلاء ، ج ٣ / ٢٤٥ .

(٤) ابن كثير : البداية والنهاية ، ج ٨ / ٢٤٣ .

يقول : ((حدثني من شهد مقتل الضحاك بن قيس قال : مر بنا رجل من كلب يقال له زحنه بن عبدالله ، كان يرمي بالرجال الجَدَّاء ، ما يطعن رجلاً الا صَرعهُ ولا يضرب رجلاً الا قتله فجعلت انظر اليه واتعجب من فعله ومن قتله الرجال ، اذ حملَ عليه رجل فصرعه زُحنه وتركه فأنيت به فنظرت الى المقتول فاذا هو الضحاك بن قيس ، فأخذت رأسه فأتيت به الى مروان فقال : انت قتلته ؟ فقلت : لا ولكن قتله زحنه بن عبدالله الكلبي فاعجبه صدقي اياه ، وتركي ادعاءه فأمر لي بمعروف واحسن الى زحنه)) (١) .

وقد انفرد الطبري بذكر اسم زحنه بالنون حيث اجمعت المصادر كلها على ذكر زحمه بالميم وليس بالنون (٢) .

وعند ابن الاثير : ان الضحاك قتل على يد رجل اسمه دحيه بن عبدالله (٣) ، وهذا خطأ من قبل ابن الاثير لم يذكر احد من المؤرخين هذا الاسم ، حيث اجمعت اغلب المصادر على انه قتل على يد زحنه بن عبدالله الكلبي .

وكان عمره حين قتل (٥٧) عاماً ، اذ انه قتل عام (٦٤ هـ) وبما ان عمره كان (٧) سنوات حين توفي رسول الله (ﷺ) كما ثبتنا ذلك في بداية البحث عند الحديث عن ولادته ، فهذا هو عمره حين قتل حيث لم تذكر لنا المصادر شيئاً عن عمره حين قتل .

وبمقتل الضحاك حاقت الهزيمة بقيس على الرغم من مقتله الا انهم رفضوا الفرار وظلت المعركة حامية الوطيس بين الطرفين ، اذ يذكر ابن عساكر حيث يقول : ((وصبرت قيس على راياتها يقاتلون عندها ، فنظر رجل من بني عُقيل الى ما يلي بقيس عند راياتها من القتل فقال : اللهم العنها من رايات واعترضها بسيفه فجعل يقطعها ، فاذا سقطت الراية تفرق اهلها ، ثم انهزم الناس فنادى منادي مروان : لا تتبعوا مولياً فامسك عنهم)) (٤) .

---

(١) تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ / ٥٣٨ ، واسم زحنه هو : زحنه بن عبدالله بن تيم الله بن رفيده بن ثور بن كلب بن وبره الكلبي ، البلاذري : انساب الاشراف ، ج ٦ / ٢٧٢ .

(٢) ابن سعد : الطبقات الكبرى ، ج ٦ / ٥٤٧ ؛ ابن عساكر : تاريخ دمشق الكبير ، ج ٢٦ / ٢٠٥ ؛ ابن كثير : البداية والنهاية ، ج ٨ / ٢٤٣ .

(٣) الكامل في التاريخ ، ج ٤ / ١٥٠ .

(٤) ابن عساكر : تاريخ دمشق الكبير ، ج ٢٦ / ٢٠٥ .

وقتلت قيس بمرج راهط مقتلة لم تقتلها قط في نصف ذي الحجة سنة اربع وستين هـ [١]، وقتل مع الضحاك ثمانون رجلاً من اهل الشام كلهم من يأخذ القطيفة [٢] وقيل ان مروان بن الحكم لما أتي برأس الضحاك كره قتله وقال : الان حين كبرت سني ، واقترب أجلي ، اقبلت بالكتائب اضرب بعضها ببعض [٣] .

وبمقتل الضحاك بن قيس وهزيمة القبائل القيسية ، خضعت الشام كلها لمروان بن الحكم وتنفس الصعداء وتفرغ لقتال ابن الزبير فضم مصر الى دولته بعد ان طرد منها ابن جحدم .

وقد اطنب الشعراء كثيراً في شعرهم يصفون هذه المعركة او الفاجعة التي لحقت بالقبائل القيسية ومن ايدها من القبائل الاخرى وهذه مقتطفات من اشعارهم :

قال عمرو بن مخلاة الحمار الكلبي :

شفى النفس قتلى لم توسد خدودها　　　تلم بها طلس الذئاب وسودها

بأيدي كماة في الحروب مساعر　　　على ضامرات ما تجف لبودها

ابحنا حمى الحيين قيس براهط　　　وولت شذاذاً واستبيح شريدها[٤]

وقال ايضا :

رددنا الخلافة لمروان بعدما　　　جَرى للزبيريين كل بريدِ

فالا يكن منا الخليفة نفسه　　　فما نالها الا ونحن شهودِ

وقال زفر بن الحارث الكلابي يعتذر عن فراره ذلك اليوم :

---

(١) الذهبي : سير اعلام النبلاء ، ج ٣ / ٢٤٥ .

(٢) الطبري : تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ / ٥٣٧ ، والقطيفة : يأخذ عنها الفارس الفين من العطاء ، المصدر نفسه ، ج ٥ / ٥٣٧ ، وقد وردت في المعاجم العربية بمعاني عده لم اجد ما ذكره الطبري من معنى ويبدو انه مصطلح عسكري .

(٣) ابن سعد : الطبقات الكبرى / ج ٦ / ٥٤٧ .

(٤) ابن عبد ربه : العقد الفريد ، ج ٢ / ٣٠٥ ؛ النويري ، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب : نهاية الارب في فنون الادب ، (القاهرة – ١٤٢٣ هـ) ، ج ١٥ / ٢٣٤ .

لعمري لقد ابقت وقيعة راهط — لمروان صدعا بينا متنائيا

اتذهب كلب لم تنلها رماحنا — وتترك قتلى راهط هي ماهيا

قد ينبت المرعى على دمن — وتبقى حزازات النفوس كما هيا

اريني سلاحي لا ابا لكِ انني — ارى الحرب لا تزداد الا تماديا

فلم ترمني نبوة قبل هذه — فراري وتركي صاحبي ورائيا

فلما امنت القوم وامتدت — بسنجار أذريت الدموع(١)

فرد عليه جواس بن القحطل الكلبي فقال :

لعمري لقد ابقت وقيعة راهط — على زفر داء من الداءِ باقيا

مقيما ثوى بين الضلوع محله — وبين الحشا أعيا الطبيب المداويا

دعا بسلاح ثم أحجم اذ رأى — سيوف جناب والطوال المذاكيا

عليها كأسد الغاب — اذا ما انتضوا عند النزال(٢)

الخاتمة

لقد تبين لنا من خلال البحث ان الضحاك بن قيس الفهري كان من الشخصيات التي برز دورها في عصر صدر الاسلام والدولة الاموية ، حيث شارك في حرب صفين الى جانب معاوية، وشغل منصب قائداً للجيش حيث تولى قيادة الفرسان مرة وقيادة الراجلة مرة اخرى .

وبعد ان وضعت الحرب اوزارها وهدأت الاوضاع تولى الضحاك ولاية الكوفة لمدة خمس سنوات ومن ثم انتقل بأمر من معاوية ليصبح والياً على دمشق وبقي في هذا المنصب حتى وفاة معاوية ، واستمر في عهد يزيد حتى وفاة الأخير عام (٦٤ هـ) .

---

(١) الاصفهاني : الاغاني ، ج ١٩ / ٢١٠ – ٢١١ .

(٢) المصدر نفسه ، ج ١٩ / ٢١١ ؛ ابن عبد ربه : العقد الفريد ، ج ٢ / ٢٣١ .

وعندما حدثت الفتنة بين عبدالله بن الزبير من جهة وبني أمية من جهة أخرى ، وقف الضحاك الى جانب ابن الزبير ضد بني أمية ، حيث تولى قيادة القبائل القيسية في معركة (مرج راهط) والتي انتهت بهزيمة القبائل القيسية ومقتل الضحاك بن قيس الفهري ، واستقر الامر لمروان بن الحكم الذي أعاد الحكم الاموي مرة اخرى بعد ان كاد ان ينهي امر بني امية وحكمهم على يد ابن الزبير .

ملحق بالاحاديث التي رواها الضحاك بن قيس الفهري عن رسول الله (ﷺ) :

١. حدثنا ابو مُسلم قال : حدثنا ابو عمر الضرير قال : ثنا حَماد بن سَلمة قال : ثنا سعيد الجريري ، عن ابي العلاء بن عبدالله بن الشخير ، عن الضحاك بن قيس الفهري ، عن النبي (ﷺ) قال : ((اذا اتى الرَجلُ القومَ ، فقالوا : مرحبا فمرحباً به يوم يلقى رَبهُ ، واذا اتى الرَجلُ القومَ فقالوا : قحطا ، فقحطاً له يوم يلقى رَبهُ)) (١) .

٢ . قال ابو عبدالله محمد بن عبد العزيز بن محمد الفارسي ، أنا ابو محمد عبد الرحمن بن أحمد بن محمد بن ابن شريح ، قالا : ثنا يحيى بن محمد بن صاعد ، حدثنا يوسف بن سعيد بن مسلم ، ثنا حجاج بن محمد ، عن ابن جُريح ، حدثني محمد بن طلحة ، عن معاوية بن ابي سفيان انه قال : وهو على المنبر ، حدثني : الضحاك بن قيس الفهري ، وهو عدل على نفسه – ان رسول الله (ﷺ) قال : ((لا يزالُ والٍ من قريش)) (٢) .

٣ . اخبرنا ابو القاسم بن السمرقندي ، انبأنا ابو الحسن بن النقور ، ثنا عيسى بن علي ، ثنا عبدالله بن محمد ، حدثني سُريح بن يونس ، ثنا عبيدة بن حميد ، حدثني عبد العزيز بن رُفيع وغيره ، عن تميم بن طرفة عن الضحاك بن قيس قال : قال (ﷺ) : ((ان الله تبارك وتعالى يقول : انا خير شريك ، فمن اشرك معي شيئاً فهو لشريكي يا ايها الناس

(١) الطبراني ، ابو القاسم سليمان بن أحمد : المعجم الاوسط ، تحقيق طارق بن عوض الله بن محمد وعبد المحسن بن ابراهيم الحسيني ، (القاهرة – ١٤١٥ هـ) ، ج ٣ / ٧١ ؛ الحاكم ، ابو عبدالله بن محمد بن حمدويه : المستدرك على الصحيحين ، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا ، (بيروت – ١٩٩٠ م) ، ج ٣ / ٦٠٣ .

(٢) الحاكم : المستدرك على الصحيحين ، ج ٣ / ٦٠٣ رقم ٦٢٣٣ .

اخلصوا اعمالكم لله تعالى ، فان الله تعال لا يقبل من الاعمال الا ما خَلُصنَ له ، ولا تقولوا : هذه لله وللرحم)) (١) ، وفي حديث أخر بعد سلسلة من الاسناد ... ثنا يحيى بن يحيى ، ثنا الفضيل بن عياض ، عن عبد العزيز بن رفيع عن تميم بن طرفة الطائي عن الضحاك بن قيس انه كان يقول : ايها الناس اخلصوا اعمالكم لله ، فان الله لا يقبل من الاعمال الا ما خلُص ، فاذا احدكم اعطى عطية ، او عفا عن مظلمة ، او وصل رَحمهُ فلا يقولن : هذا لله بلسانه ولكن ليعلم بقلبهِ (٢) .

٤ . اخبرنا ابو الفتح يوسف بن عبد الواحد ، ثنا شجاع بن علي ، قالا : ثنا ابو عبدالله بن منده ثنا عثمان بن احمد السمرقندي ، ثنا ابو امية الطرسوسي ، ثنا منصور بن صغير ، ثنا عبيدالله بن عمرو عن عبد الملك بن عُمير ، عن الضحاك بن قيس ، قال : كانت ام عطية خافضة بالمدينة ، فقال لها النبي (ﷺ) : ((اذا خفضتِ فلا تنهكي ، فانه أحظى للزوج ، وأسرى للزوجة)) (٣) .

٥ . (طب ك) في الفضائل عن الضحاك بن قيس الفهري او غيره قال ك صحيح على شرط مسلم وأقَره الذهبي (اذا اتى احدكم الغائط ، محل قضاء الحاجة كنى به عن العذرة كراهة لأسمه فصار حقيقة عرفية (فلا يستقبل القبلة) الكعبة المُعظمة ولا يولها ظهره اي لا يجعلها مقابل ظهره ، (ولكن شرقوا او غربوا) اي توجهوا الى جهة الشرق او الغرب وفيه التفات وذا لأهل المدينة ومن قبلتهم على سمتهم فمن قبلته الى المشرق او المغرب ينحرف الى الجنوب او الشمال (٤) .

٦ . اخبرنا ابو القاسم بن الحُصين ، ثنا ابو علي التميمي ، ثنا أحمد القطيعي ، ثنا ابو عبد الرحمن حدثني ابي ، ثنا عفان ، هو ابن مسلم ، ثنا حماد بن مسلمة ، ثنا علي بن زيد ، عن الحسن : قال الضحاك بن قيس الفهري ، سمعت رسول الله (ﷺ) يقول : ((

---

(١) الدار قطني ، ابو الحسن علي بن عمر : سنن الدار قطني ، تحقيق شعيب الأرناؤوط واخرون ، (بيروت – ٢٠٠٤ م) ، ج ١ / ٧٧ رقم ١٣٣ .
(٢) اخرجه الدار قطني عن الضحاك بن قيس .
(٣) التقي الهندي : كَنز العمال ، ج ٢٣ / ٨٠ رقم ٤٥٣٠٧ .
(٤) التيسير بشرح الجامع الصغير ، ج ١ / ٥٨ .

إنَّ بين يدي الساعة فتناً كقطع الليل المظلم فتناً كقطع الدخان ، يموت فيها قلبُ الرجل كما يموتُ فيها بدنهُ ، يصبح الرجل مؤمناً ويمسي كافراً ، ويمسي مؤمناً ويصبح كافراً ، يبيع اقوام اخلاقهم ودينهم بعرض من الدنيا قليل)).

AL- Dahak Bin – Qais AL-Fihri, and His Political and Military Role during both AL-Rashidi and Omayyad period

Adnan Shabaan Abid , Ph.D.

Abstract

This research sheds light on an important character, he is (Al-Dhahâk Bin Qais Al – Fihri) and his political and military role in the Rashidi and Umayyad period.

The study deals with the name of (Al–Dhahâk) his lineage, his role in the political events that took place during the semi battle between (Imam Ali Ibn Abi Talib) (may Allah be pleased with him) and (Mu'awiyah Ibn Abi Sufyan), where he had a clear impact in these event , because he was the leader of the heart of the army in that semi battle. He had a distinguished presence in the negotiation which followed the battle between the two parties .

He became the viceroy of (Al-kufa) (53 – 57 A.H) during (Mu'awiyah Ibn Abi Sufyan) period, then he moved to Damascus where he remained there until his death in (64 A.H) .

He also had a clear role at the Council of (Mu'awiyah) , he was of his advisers and prominent men and was close to the Caliph, especially when he informed the people of the death of the Caliph (Mu'awiyah). He had the authority to run affairs until (Yazid Bin Mu'awiyah) came to Damascus and took over the reins of power, he also played an important role during Yazid's Caliphate when he was his advisor .

Al-Dhahâk played a role when the problems occurred between the people of the (Hijaz) and when (Al-hurrah) battle took place , he tried to prevent the outbreak of battle , but he failed, because of the intransigence of the people of the Al-Medina and then the sedition that followed the death of (Yazid bin Mu'awiyah), which claimed his life .